الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين

المركز الوطني للدراسات و البحث
في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954

معركة الجرف
وقائع وشهادات

أكتوبر 2007

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين

المركز الوطني للدراسات و البحث
في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954

معركة الجرف

وقائع وشهادات

الملف من إعداد:

خضراء بوزايد: رئيسة مصلحة النشر والتوزيع

ليندة مولاي ابراهيم : مكلفة بالدراسات

فريدة مفتوح : مكلفة بالدراسات

سهام يوسفي : مكلفة بالدراسات

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

مقدمة

لم تعرف الثورة الجزائرية في أشهرها الأولى. انتشار العمليات المسلحة من معارك و كمائن واشتباكات عبر كامل التراب الوطني نظرا للأسباب والظروف التي يعرفها الجميع، وفي مقدمتها النقص الكبير في الأسلحة والذخيرة، وإن وجدت فهي في غالبيتها العظمى عبارة عن بنادق صيد تقليدية وحتى هذه الأخيرة غير متوفرة بالقدر المطلوب.

وبعد انقشاع ضباب المفاجأة الذي خلفته الضربات الموجعة في الليلة المباركة من فاتح نوفمبر 1954، استرجعت السلطات الاستعمارية الثقة بالنفس وشرعت في إعداد الخطط العسكرية المحكمة التي تفنن ضباطها السامون من خريجي أكبر الكليات الحربية في صياغتها للقضاء على هذا "العصيان" الذي لم يكن في الحسبان. وعلى الرغم من حشد القوات الضاربة من جيوش مدججة بأحدث الأسلحة ومعدات عسكرية جهنمية من طائرات، دبابات ومدافع من مختلف الأعيرة، فإن مجاهدي جيش التحرير الوطني ثبتوا في مواقعهم ولم ينكسروا وأبلوا البلاء الحسن، وخاضوا غمار معارك ضارية وكمائن ناجحة كبدوا خلالها العدو أفدح الخسائر في

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جاشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الأرواح والعتاد واستطاعوا غنم بعض الأسلحة المتطورة والذخيرة التي ستكون لهم عونا في المستقبل على توجيه المزيد من الضربات للعدو بسلاحه.

وفي تراب ولاية تبسة الإدارية حاليا، خاض جنود جيش التحرير الوطني في الفترة الممتدة من فاتح نوفمبر 1954 إلى معركة الجرف الكبرى في أواخر سبتمبر 1955 ما لا يقل عن 20 مواجهة بين معركة، اشتباك وكمين كانت ناجحة في أغلبيتها الساحقة، نذكر منها بعض المعارك التي سجلها التاريخ بأحرف من نور على غرار: أرقو، مزوزية، زريف الساهل،الزرقة ، الحوض، أم الكماكم، فرطوطة، حليق الذيب، جبل سيدي أحمد، قرن الكبش وغيرها.

وإن دلّ هذا العدد الهائل من المواجهات والتصادم مع قوات العدو على شيء فإنه يدل على أن هذا الأخير قد عقد العزم على اجتثاث قواعد الثورة واستئصالها من الجذور والمعاقل التي استطاعت أن تتحصن بها في ظرف زمني قصير حيث تبناها الشعب والتفّ حولها.

واعتقدت فرنسا بأن القضاء على الثورة في المهد أي أوراس– النمامشة يعتبر خطوة حاسمة على طريق القضاء النهائي على" التمرد". ومن هنا كان تركيز العدو على هذه المنطقة حيث حشد

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

لها حصة الأسد من المجهود الحربي لإخماد لهيب الثورة في أكبر معاقلها آنذاك، لأن ألسنتها عمت بعد ذلك كل التراب الوطني من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بندى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الموقع والتضاريس

"يقع جبل الجرف الذي ينحدر من سلسلة الجبل الأبيض على بعد حوالي 100 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة تبسة، مقر الولاية. يحده من الشمال: الشريعة وجبل قساس، الجنوب الشرقي: نقرين، الشرق: جبل العنق وجبل غيفوف"[1].

ومنطقة الجرف أو وادي هلال عبارة عن فجاج صخرية عميقة تتخللها بعض الكهوف والمغارات الطبيعية التحت-أرضية، تتسع وتضيق حسب الموقع، وتعلو جبل الجرف صخرتان عظيمتان. وفي الأسفل يجري وادي هلال أو وادي الجرف بحيث يتخذ اسم المنطقة التي يمر بها.

وتبرز على ضفتي الوادي نتوءات وتجاويف صخرية حصينة تشكل القلعة. ولهذا فإن المجاهدين المتمركزين في هذه القلاع الطبيعية المحمية في منأى عن ضربات العدو سواء قذائف المدفعية الثقيلة أو قصف الطائرات. وقد ظلت هذه الحصون صامدة أمام مئات الأطنان من القنابل والشظايا تحمي من بداخلها بوداعة واطمئنان. وبفضل تجاويفها الكثيرة مكنت القائد بشير شيحاني من الخروج بعيدا عن أعين العدو، ولم تطله لا القذائف ولا الغازات السامة وفلت ومن معه سالمين.

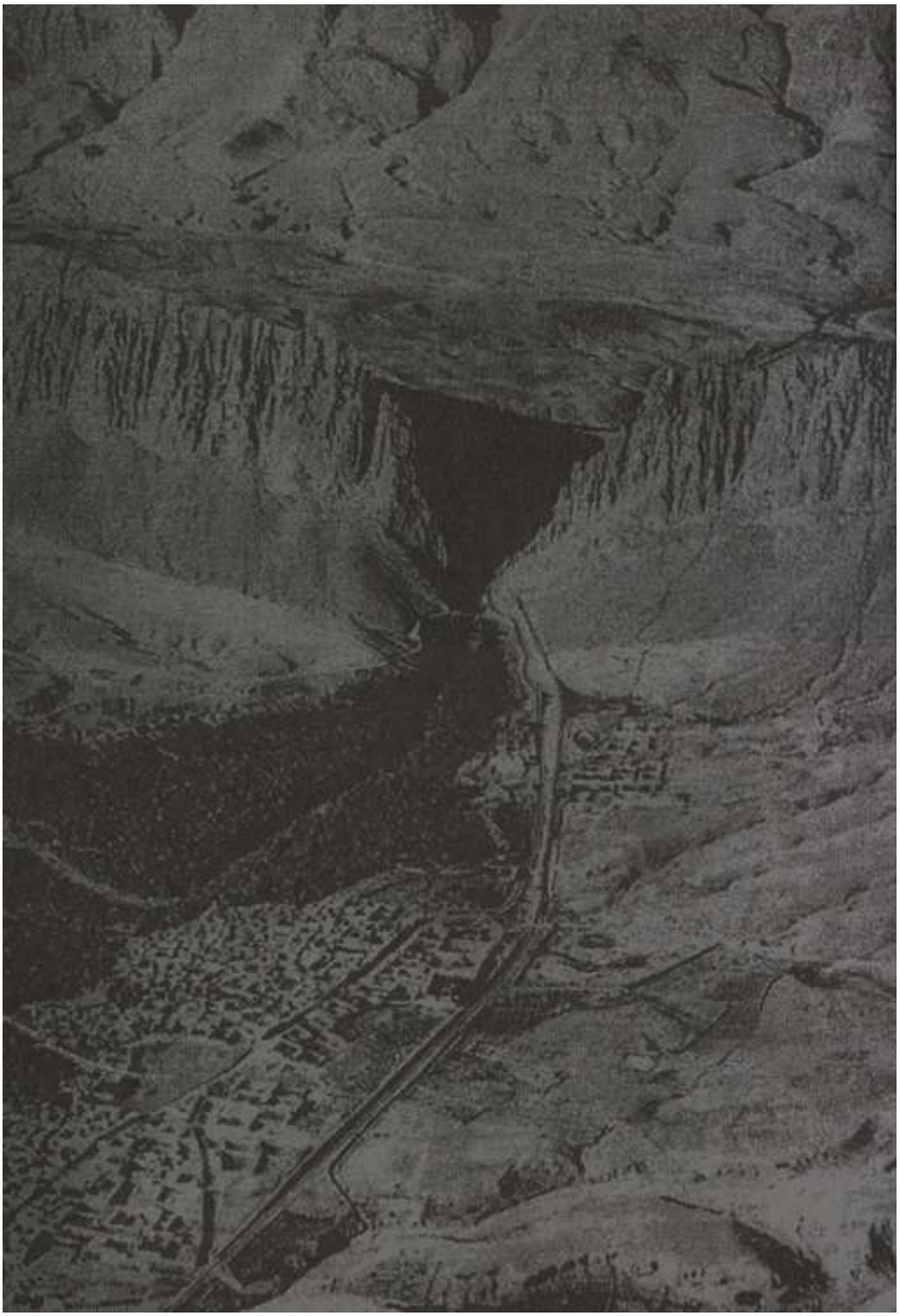

أسباب المعركة

بعد أن تأكدت فرنسا أن ما كانت تعتبره مجرد عصيان عابر هو أكبر من ذلك بكثير، وأن العمليات المسلحة التي اندلعت ليلة فاتح نوفمبر 1954 ما هي إلا مقدمات لما سيأتي بعدها، وأنها ما فتئت تتوسع وتشتد قوة وشمولية لغالبية التراب الوطني، لم يبق أمام السلطات الاستعمارية من مخرج إلا أخذ الأمور بجدية وحزم وإعداد العدة والعتاد وحشد الجيوش لوأد هذه الثورة الفتية قبل أن يشتد عودها ويستفحل خطرها. ومن عادة فرنسا الغلو، ولهذا كان أول ما فكرت فيه هو التخطيط للقيام بعملية تمشيط شاملة لتطهير الجبال والسهول، الوديان والأحراش من "الفلاقة" بغرض تحقيق هدف مزدوج: الأول محو عار الهزيمة النكراء التي لحقت بها في ربيع

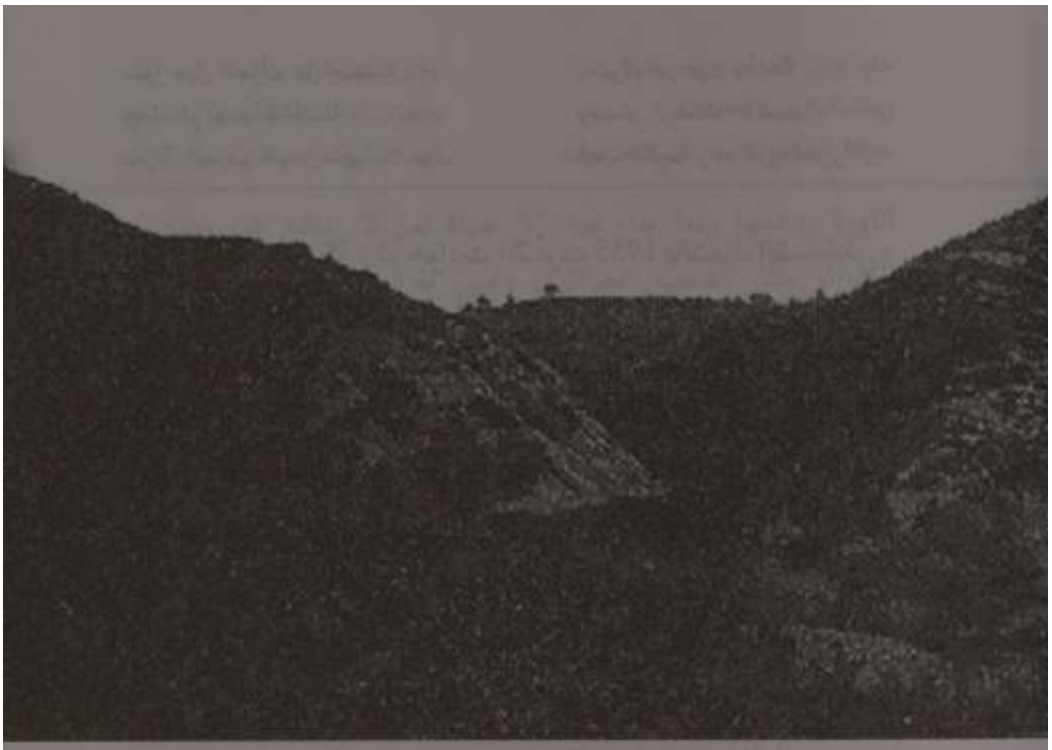

1954 بديان بيان فو بالفيتنام، والثانية ردع الثورة الجزائرية الفتية حتى لا تحذو حذوها.

وبما أن المنطقة الأولى أوراس- النمامشة كانت تعتبر المحرك الرئيسي للثورة في بدايتها ومركز ثقلها، فقد اعتقدت فرنسا أنها بالقضاء على الثورة في هذه المنطقة يستتب لها الأمن عبر كامل التراب الجزائري. فبدأت بحشد قوات عسكرية لا مثيل لها زحفت نحو جبال النمامشة في عملية تطويق واسعة. وكان من أسباب هذا التقدم الاصطدام الأول مع جيش التحرير الوطني بوقوع معركة أم الكماكم في أواخر شهر جويلية 1955 والتي قادها وأشرف عليها بشير شيحاني شخصيا، ويعتبرها كثيرون مقدمة لمعركة الجرف الكبرى.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بعدي بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد هذه المعركة، ثم حوادث 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني، قرر بشير شيحاني عقد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات الجهوية يستدعي إلى حضورها المناضلين و عموم الشعب وأعيان الأعراش للالتقاء بقادة الثورة، الغرض منه تقريب الثورة من المواطنين والتعريف بأهداف هذه الحركة الحديثة العهد حتى يتمكن الشعب من التعرف على جنود جيش التحرير الوطني لتفنيد دعاية العدو المغرضة من أن هؤلاء ليسوا إلا "فلاڤة" وقطاع طرق. فكان لقاء رأس الطرفة فاتحة هذه الاجتماعات وذلك يوم 20 سبتمبر 1955. وتشاء الصدف أن يكون أيضا آخر اجتماع يترأسه القائد شيحاني.

وقد حضر هذا الاجتماع معظم قادة المنطقة الأولى: بشير شيحاني، عباس لغرور، عجول عجول، عمر بن بولعيد، لزهر شريط، بشير ورتان(سيدي حني)، لزهر دعاس، الوردي ڤتال، الزين عباد، الجيلالي السوفي، ساعي بن علي فرحي (بابانا ساعي) وغيرهم بالإضافة إلى أعيان مدن وأرياف: تيسة، الشريعة،ڤنتيس ، بابار، الزوي، تبردڤة، بئر العاتر وبعض مناطق النمامشة الأخرى.

وتوافد المناضلون والمواطنون على مكان الاجتماع بكثرة تلبية لدعوة القائد وهم يحملون ما استطاعوا من مؤونة وهدايا وأموال.

وتقدر بعض المصادر أن الاجتماع ضم ما لا يقل عن 500 مدعو وترأسه بشير شيحاني الذي ألقى بالمناسبة خطابا حماسيا تجاوب معه الحضور، دعا فيه إلى الثورة على المستعمر وترك الخوف واحتضان

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الثورة ودعمها ومما جاء فيه: "لا حياة لمن لا يدافع عن وطنه... الجزائر ملك الشعب الجزائري وليس لفرنسا فيها شبر واحد"[2]

وفي موضع آخر من خطابه يتوجه شيحاني بالكلام إلى الحضور فيقول: " ... ولا شك أن من بينكم من سيسارع بالتبليغ عنا... ولهؤلاء نقول بلغوا فرنسا بأمانة عن حقيقة المجاهدين."[3]

وفي هذا الاجتماع تمت دراسة الوضع العام للثورة خلال الأشهر العشرة الأولى من عمرها، وتقرر تعيين مسؤولي النواحي الشرقية من المنطقة الأولى أوراس- النمامشة حيث تقرر تعيين القيادة التالية:

المنطقة	المسؤول
بئر العاتر – الجبل الأبيض	لزهر شريط
الونزة	علي عفيف
سدراتة	عمر عون (البوقصي)
سوق أهراس	الوردي قتال
تبسة	بشير ورتان (سيدي حني)
ششار	علي كربادو
عين الفكرون – الخروب	شعبان لغرور
تازربونت إلى الونزة والحدود التونسية	حمة بن عثمان
نقرين – الجنوب التونسي	جيلاني بن عمر
خنشلة	التيجاني بن عثمان

وظل العمل ساريا بهذا التقسيم إلى غاية ربيع سنة 1956.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جاشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد انتهاء الاجتماع وعودة بعض المسؤولين إلى مناطقهم والمواطنين إلى ديارهم تلقى شيحاني رسالة من باشاغا خنشلة بوعلام بن شنوف [4] أكد فيها لشيحاني عزم العدو على القيام بعملية مسح تشمل جبال النمامشة للقضاء على الثورة في المهد، مشيرا عليه وناصحا له بأن يترك هذا الموقع والتوجه إلى غيره من الجبال أو الذهاب إلى التراب التونسي إذا اقتضى الأمر.

وعند تدارس الأمر بين شيحاني وقادته اختلفت الآراء بين من يريد الخروج ومغادرة المكان في أقرب وقت ممكن وحجتهم في ذلك أن كل قادة المنطقة الأولى موجودون في هذا المكان ويمكن أن يستشهدوا جميعهم في أحسن الظروف أما في أسوأ تقدير فإن هؤلاء يتم إلقاء القبض عليهم وفي كلتا الحالتين ستعرف منطقة أوراس-النمامشة حالة شغور تكون وبالا على الثورة بكاملها، أما الفريق الثاني فيحبذ البقاء في عين المكان خشية عدم الوصول إلى مكان يكون أكثر أمنا ويرى ضرورة التحصن بقلعة الجرف ومواجهة جيش العدو. وعلى عكس ما تذهب إليه بعض الروايات من تعنت شيحاني في البقاء، فإنه كان من دعاة الرأي الأول المنادي بضرورة الخروج والدليل على ذلك أنه أرسل أحد المسؤولين المقربين إليه والذي يثق فيه وهو الزين عباد للخروج بقوته لاستطلاع الطريق استعدادا للخروج باتجاه الجنوب، لكن الزين اصطدم بقوات العدو زاحفة نحو موقعهم وعلم بما وقع لمجموعة فارسي محمد بن عجرود في فرطوطة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بعدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

سير المعركة:

لعل أهم ما يميز معركة الجرف الكبرى هو الظروف الاستثنائية التي أحاطت بها. فثورة أول نوفمبر 1954 لم تكمل بعد عامها الأول، ولم يعم لهيبها كامل التراب الوطني، وفرنسا رصدت كل إمكانياتها المادية وحشدت جيوشها الجرارة في عملية مسح شاملة لتطهير المنطقة، وقع كل هذا في غياب البطل الرمز مصطفى بن بولعيد قائد المنطقة الأولى أوراس- النمامشة الذي ألقي عليه القبض على الحدود الشرقية يوم 11 فيفري 1955 عندما كان متجها صوب المشرق العربي لإحضار السلاح الذي عزّ وجوده في هذه البدايات الصعبة والحرجة من عمر الثورة، تاركا قيادة المنطقة لبشير شيحاني. وكان بن بولعيد عندما عزم على السفر اجتمع بعباس لغرور وعجول عجول على انفراد وأعلمهما أنه استخلف مكانه شيحاني وأوصاهما به خيرا وحثهما على مساعدته والامتثال لأوامره باعتبارهما النائبين العسكري والسياسي له.

وقبل الخوض في تفاصيل معركة الجرف تجدر الإشارة إلى الاختلاف الحاصل حول عدد أفراد جيش التحرير الوطني الذي كان رفقة شيحاني بالجرف. فهذا المجاهد محمد الهادي رزايمية من خنشلة يؤكد بأن عدد الجيش الذي كان مع شيحاني في معركة الجرف هو 500 مجاهد.[5]

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

في حين يذهب المجاهد، الطبيب والمؤلف محمد العربي مداسي إلى أن شيحاني جمع في وادي هلال: «300 من خيرة مجاهدي جيش التحرير الوطني.»[6]

إلا أن المجاهدين الذين التقينا بهم بولاية تبسة في الفترة الممتدة من 15 إلى 17 جويلية 2007[7] والذين شاركوا كلهم في معركة الجرف يؤكدون بأن العدد يتراوح ما بين 250 و 350 ولا يمكن أن يتجاوز ذلك.

ونفس الاختلاف تقريبا وقع في ما يخص الفترة الزمنية التي استغرقتها هذه المعركة الأولى من نوعها منذ اندلاع الثورة من حيث الزخم والقوة والنتائج أيضا. ففي الوقت الذي يؤكد فيه من حضروا وخاضوا المعركة أنها دامت ثلاثة أيام وأربع ليال أو كما يقال محليا "سبع وجبات" وهذا رأي الأغلبية الساحقة، تذهب فئة قليلة إلى القول بأن معركة الجرف دامت ثمانية أيام بلياليها. ولعل مرد اللبس بالنسبة لهؤلاء هو الخلط بين المعركة في حد ذاتها ثم الاشتباكات التي أعقبتها لاحقا والتي استمرت إلى منتصف شهر أكتوبر من نفس السنة.

وقد تبعت معركة الجرف الكبرى، اشتباكات وكمائن لا تعد ولا تحصى ولا تقل عنها ضراوة على غرار معارك: «جبل الجرف (3 معارك)، أرقو (4 معارك)، الجبل الأبيض (معركتان)، أم الكماكم (3 معارك)، تازربونت (3 معارك واشتباكات).»[8]

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد أن استكملت الجيوش الفرنسية عملية تطويق منطقة الجرف على محيط يقارب الـ300 كلم خلال عدة أيام، بدأت الزحف باتجاه قلعة الجرف مكان تواجد قيادة المنطقة الأولى وجيشها. وكان أول المصطدمين بجيش العدو القائد فارسي محمد بن عجرود بالمكان المسمى "فرطوطة" الواقعة على بعد حوالي 15 كلم من الجرف، حيث اشتبك بمجموعته المتكونة من حوالي 30 مجاهدا مع قوات العدو المتقدمة نحو الجرف.

ونظرا لعدم تكافؤ موازين القوى بين الطرفين فقد تمكن الفرنسيون من القضاء عليهم جميعا ونكلوا بجثمان البطل بن عجرود حيث فصلوا رأسه ووضعوه على سيارة عسكرية مكشوفة (جيب) وجابوا به الشوارع أمام المواطنين للحط من معنوياتهم.

وقد أرسل القائد شيحاني الزين عباد (محل ثقته) رفقة مجموعة من المجاهدين لا تزيد عن الـ50 جنديا لإيجاد منفذ للخروج من الجرف. لكن هذا الأخير اشتبك بدوره مع العدو المتقدم واستطاع الإفلات من قبضته دون ضرر وحمل في نفس الوقت خبر استشهاد بن عجرود ومجموعته. وهنا تأكد للقائد شيحاني أن الاصطدام مع العدو واقع لا محالة لأن الخروج أصبح متعذرا.

وبناء على ذلك أصدر أمرا بالانتشار في قلاع الجرف الحصينة واختيار الأماكن الدفاعية واعداد وتجهيز الأسلحة، الذخائر، المؤونة ومياه الشرب للجيش وقيادته وتوزيعها على الوحدات.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

إثر اشتباك فرطوطة مع بن عجرود وبعده الزين عباد، أعلنت فرنسا عن بداية المعركة بعملية قصف مركزة من مختلف الأسلحة والأعيرة. فقد صبت الطائرات، الدبابات والمدفعية الثقيلة والبعيدة المدى بالتناوب نار غضبها على الجبل- القلعة. وأطلقت الأدخنة لدفع المجاهدين إلى الخروج من تحصيناتهم دون جدوى. وفي نفس الوقت محاولة التقدم تحت هذا الغطاء. وبعد ظهيرة اليوم الأول و الهدوء النسبي الذي عرفته فترة تناول جيش العدو لوجبة الغداء، انتشر العساكر كالجراد وتقدمت الآليات النصف مجنزرة من نوع "هالف تراك" صعودا.

وكان أول ضحايا القصف العشوائي من المدنيين العزل سكان وادي الجرف (الجرافة) حيث سقط منهم ستة قتلى وتطايرت أشلاء حيواناتهم تملأ الوادي. فتشتت باقي الأهالي يطلبون النجاة بأرواحهم تاركين متاعهم وماشيتهم هناك.

لكن هذا السيل من نيران الطائرات، الدبابات والمدفعية الثقيلة لم يكن له أي مفعول سلبي على الحصن الصخري المنيع الذي احتمى به جنود جيش التحرير الوطني وتوزعوا في ثناياه في انتظار تقدم وحدات العدو التي لم تتأخر عن التحرك باتجاه القلعة تحميها آليات "الهالف تراك".

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وقد فاجأتها نيران أسلحة المجاهدين التي حصدت العشرات من العساكر وتدمير أو عطب العشرات من هذه الآليات. واشتد لهيب المعركة في اليوم الأول إلى ما بعد غروب الشمس حين تقهقرت قوات العدو راجعة لأماكنها لقضاء ليلة ليست ككل الليالي. إذ بعد تموقعها للمبيت أضاءت البطاريات القوية التي حولت ليل الجرف إلى نهار في محاولة لحرمان المجاهدين من التسلل خارج حصنهم. كما حاولت شن حرب نفسية واللعب على معنويات هؤلاء باستنزافهم عن طريق إطلاق زخات من الأسلحة الرشاشة في تواتر مضبوط لحرمانهم من النوم والراحة.

وما بزغت شمس اليوم الثاني على وادي الجرف إلا ومدفعية العدو الثقيلة وبعيدة المدى تفتح نيران القصف التمهيدي وذلك من خلال بطارياتها المتموقعة بالدرمون شرقا، السطح غربا ورأس العش استعدادا لإعلان يوم جهنمي ثان. وطوال ساعة على الأقل لم تسكت هذه الأخيرة وألقت عشرات الأطنان ثم استخلفتها الطائرات في قنبلة عمياء لكل محيط قلعة الجرف شرقا غربا وشمالا جنوبا إلى أن اختفت قممه تماما تحت ستار كثيف من الدخان، البارود والأتربة التي تصاعدت أعمدة عالية في سماء الجرف.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

ولم تكد تتوقف قنبلة الطائرات المغيرة حتى أخذت دبابات ومصفحات العدو في تقدم بطيء نظرا للتضاريس الصخرية الوعرة في قصف مركّز لضرب مواقع المجاهدين من مختلف أعيرة الرشاشات والمدفعية وحتى أسلحة الأفراد المشاة الزاحفين من خلفها نحو مصيرهم المجهول. وكانت نجدات من المجاهدين قد وصلت، وعلى قلتها وبساطة أسلحتها، استطاعت أن توقع العدو بين نارين، وأفشلت بذلك خطة الاقتحام التي قررها العدو. فما كان من حل آخر أمام هؤلاء سوى التقهقر إلى الخلف واللجوء من جديد إلى القصف المكثف بالمدفعية الثقيلة. وتواصل القصف على أشده إلى أن خيّم الظلام الدامس على جبل الجرف في هذا اليوم الثاني الحامي الوطيس من معركة ساخنة استخدمت فيها فرنسا كل قواتها حيث جندت أكثر من 40 ألف عسكري وعدد لا يحصى من الطائرات الكاشفة والمقنبلة والدبابات دون أن يكون لذلك نتيجة تذكر. فهي لم تقض على المجاهدين وقادتهم ولم تتمكن من اقتحام قلعة الجرف المنيعة ولم تحقق نصرا يذكر. وهكذا بات قادة العدو في تلك الليلة يتجرعون مرارة الخيبة حتى الثمالة.

عندما لاحت خيوط الشمس الأولى لليوم الثالث على التوالي من المعركة تأكد قادة الثورة بالجرف أن العدو قد أخذ خلال الليلة السالفة قرارا باقتحام القلعة بالقوة. وما يدل على ذلك أن المدفعية الثقيلة والبعيدة المدى التي كانت تدك الجبال الصخرية طوال ساعات

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

كاملة قد سكت دويها. كما تأخر عن أرض المعركة طيران العدو الذي طالما كان البطل دون منازع من خلال القصف المركز الذي كانت أسراب متواصلة تسلطه على أماكن تواجد المجاهدين وقيادتهم. ومرد هذا القرار أن بعض دبابات العدو تمكنت من الدخول إلى الوادي واحتلال موقع استراتيجي مكنها منه سلاح الهندسة العسكرية الذي فتح ثغرة ومهد لتقدمها مما صعب من مهمة المجاهدين المدافعين عن أماكن تحصنهم.

دخول هذه الدبابات الميدان أخلّ بموازين المعركة وشكل خطرا محدقا بالمجاهدين حيث اضطر هؤلاء للخروج من مواقعهم التي لم تعد آمنة، وفي خضم هذا الخروج سقط العديد من الشهداء. ومن نتائج هذا التقدم أيضا حرمان المجاهدين من التزود من مياه وادي هلال التي أصبحت تسيطر عليه دبابات العدو.

وتبعا لهذه المستجدات خاصة وأن نقص الذخيرة والمؤونة بدأ يطرح بحدّة إلى جانب وصول قوات ونجدات إضافية لدعم العدو، دعا مسؤول المنطقة الأولى أوراس- النمامشة قائد معركة الجرف إلى عقد اجتماع عاجل شارك فيه أهم القادة عباس لغرور، عجول عجول، سيدي حني وغيرهم واستقر الرأي في النهاية على حتمية الخروج من أرض المعركة أثناء الليل مهما كان الثمن لأن البقاء يعني القضاء المبرم عليهم، حيث أن تمكن الدبابات من الدخول إلى الوادي قلب موازين القوى وأصبحت تحصينات المجاهدين قاب

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

قوسين أو أدنى من مدفعية هذه الأخيرة، فكان الخروج عنوة عن طريق فتح ثغرة أو ثغرات وسط جيوش العدو الوسيلة الوحيدة لنجاة من كتبت له الحياة.

تم الاتفاق على الخروج من أرض المعركة لكن نواب شيحاني وقادته رأوا أن خروج القائد معهم في هذه الظروف يشكل خطرا كبيرا على حياته، ولهذا تقرر بقاء بشير شيحاني رفقة مجموعة مسلحة صغيرة ضمت على التوالي: الشايب علي، محمد شامي، محمد الصغير، عبد الحميد زروال، عبد العزيز سديرة، بوساحة عون الله وعبد الرحمان. وقد تم تزويد هذه المجموعة الصغيرة بما أمكن من الزاد والماء والذخيرة وتحصنوا جيدا في المغارة العميقة الموجودة على الضفة الشرقية لوادي هلال وقام المجاهدون بغلق المغارة جيدا، مستودعين من فيها إلى من لا تضيع ودائعه.

وفي هذه الأثناء بدأت محاولة خروج المجاهدين من ميدان المعركة بعد أن بسط الليل ستائره الدامسة على قلعة الجرف. وانتظم المجاهدون في أرتال مصطفة تنتظر إشارة الانطلاق. وكان أول من خرج دورية تضم خمسة جنود تقدمت لتجس نبض المكان. وما أن قطعت 200 متر حتى اصطدمت بقوات العدو التي خلد أفرادها للنوم بعد ثلاثة أيام من معركة جهنمية طاحنة. وما كان من دورية المجاهدين إلا فتح نيران أسلحتها باتجاه العساكر الفرنسيين.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وكان لعامل المفاجأة هذا دوره حيث لم يكن العدو ينتظر خروج جيش التحرير بفتح ثغرة بالقوة وسط جيشه، مما أدى إلى سقوط الكثير منهم. وأشعلت الأضواء الكاشفة وتحول ليل الجرف نهارا ونشبت معركة من نوع آخر.

بعد أن دوت كلمة "الله أكبر" في ليل الجرف ورددت صداها قلاعه الحصينة اندفع مجاهدو جيش التحرير وسط قوات العدو والتي قوامها الآلاف في قتال ملتحم بالأسلحة النارية، السلاح الأبيض المتمثل في الحربات المنصوبة في مقدمة الأسلحة، الخناجر التقليدية وحتى بالأيدي ونتيجة ذلك تمكن المجاهدون من اختراق الجبهة الجنوبية للعدو وغنم أسلحة عديدة من مختلف القطع، عيار 36، مات 39، رشاشات ثقيلة عيار 24، عشاري، بنادق آلية وغيرها من الذخيرة. وبعد الخروج من الحصار الذي ضربته قوات العدو، لاحظ المجاهدون وجود مجموعة من البغال محملة بالعتاد العسكري من أسلحة وذخيرة ومؤونة قادمة على شكل نجدة لقوات العدو بوادي الجرف، ويقود هذه القافلة مجموعة من عساكر العدو والحركى. فتم القضاء على أغلب مرافقي القافلة بينما سيقت البغال ومن بقي من الجنود الفرنسيين اعتقادا من المجاهدين أنهم ابتعدوا نهائيا عن العدو، لكنهم اصطدموا بطوق ثان من جيش العدو فاضطروا إلى قتل البغال والعساكر قصد التفرغ للاشتباك مع هذه العقبة الجديدة. وتمكنوا من اجتيازها وغنم بعض الأسلحة وواصلوا السير.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

ورغم التعب الذي نال من المجاهدين فقد كان لزاما على فوج عجول عجول مواصلة السير للخروج نهائيا من الطوق المحكم من قبل العدو. ومع بزوغ فجر يوم جديد بدأ جنود جيش التحرير يتوافدون في مجموعات وأفواج صغيرة لا تتعدى العشرين رجلا. وبعد تجمع حوالي 160 مجاهد أعطيت الأوامر للتقدم نحو شعبة مريم الواقعة على بعد 20 كلم غرب مسحالة. واختلفت الآراء وأخذ البعض وجهة أخرى، واصطدموا من جديد مع العدو. واستطاعوا أن يفلتوا في الأخير من قبضته.

وفي هذا الوقت بالذات سمع تبادل إطلاق النار آت من مسحالة حيث اتضح في ما بعد أن عباس لغرور ومجموعته هم الذين اشتبكوا مع قوات العدو المرابطة هناك ولحسن الحظ لم تخلف شهداء.

ويتذكر المجاهدون الذين حضروا المعركة بمرارة كيف أنهم اضطروا مرغمين إلى ترك المجاهدين البطلين بأرض المعركة: سالمي بوبكر لا يزال حيا يرزق الطبيب الخاص للقائد شيحاني وبخوش محمد السدراتي الذي بترت ساقاه الإثنتان في المعركة مما أحدث له نزيفا حادا جعله يدخل في شبه غيبوبة فقام جيش العدو بالإجهاز عليه وفصل رأسه عن الجسد ووضعوه على دبابة جابت به شوارع مدينة تبسة نكاية وشماتة ومحاولة لإحباط العزائم دون جدوى.

واصلت أفواج المجاهدين هذه سيرها نحو الأماكن الآمنة، لأخذ قسط من "استراحة المحارب" قبل استئناف المعارك والكمائن

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

من جديد. وقد اتجه كل من عباس لغرور وعجول عجول بجنودهم صوب منطقة الأوراس لأنهما كانا قد بيتا أمرا في غاية الخطورة وعزما على تنفيذه هناك.

نتائج المعركة

وقد حققت معركة الجرف الكبرى نتائج هامة إن على المستويات العسكرية، السياسية أو الدبلوماسية.

فعلى الرغم من أن الثورة كانت في بدايتها وامكانياتها المادية والبشرية محدودة إلا أن هذه المعركة وقبلها بشهرين معركة أم الكماكم أفحمت الأصوات الناعقة بأن تفجير الثورة خطأ فادح وأن فرنسا لا تهزم ببنادق الصيد. ونتائج المعركتين أكدت لمن يراودهم شك أن الإيمان بعدالة القضية والاستماتة في الدفاع عن الحق لا يمكن أن يؤديا إلا للانتصار رغم عدم تكافؤ موازين القوى بين الطرفين. وأهم ما خسرته فرنسا في الجرف على وجه الخصوص ليس الطائرات، الدبابات والمجنزرات ومئات القتلى في صفوف عساكرها، ولكنها خسرت الروح المعنوية والقتالية وتأكدت بما لا يدع مجالا للشك أن القوة العسكرية الرابعة في العالم يمكن أن يمرغ سمعتها في الوحل شباب فقراء، رعاة، فلاحون منهم من ينتعل الحذاء لأول مرة وقلة قليلة من المتعلمين الذين كانوا نبراسا لرفاقهم. شباب أغلبيتهم الساحقة لم تبلغ بعد سن العشرين، يحملون السلاح لأول مرة وهاهم يتحدون الجنرالات والعقداء من خريجي أكبر المدارس

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الحربية الفرنسية والحليفة ويلقنونهم درسا لا ينسى في فنون القتال على اختلاف أنواعه.

وهنا يأتي الانتصار السياسي لأن القوات الفرنسية عندما فشلت في تحقيق أي نصر عسكري يذكر لجأت كعادتها إلى الدوس على القوانين والأعراف الدولية وضربت عرض الحائط بكل الاتفاقيات التي التزمت باحترامها وقنبلت مواقع المجاهدين بالغازات السامة المحظورة دوليا في محاولة يائسة للقضاء على من عجزت عن مواجهتهم بالسلاح. وقد كان من نتائج ذلك أن ارتفعت أصوات منددة بهذه التصرفات اللامسؤولة، والتي لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تخدم السياسة الفرنسية في الجزائر وستضعف صوتها في المحافل الدولية. وجراء ذلك قدم بعض نواب البرلمان الفرنسي استقالتهم احتجاجا منهم على استخدام الغازات المحظورة من طرف الجيش الفرنسي الذي ترفع دولته شعار "حرية، أخوة، عدالة ".

وكما سبقت الإشارة إليه فإن معركة الجرف كانت من النتائج الأولى لسياسة المسح الشامل التي قررتها فرنسا للقضاء على الثورة قبل استفحالها، وبالتالي كانت قد جندت لتحقيق ذلك جحافل جرارة من الجيوش وحشود من الطائرات والدبابات والآليات المجنزرة وطوابير المغاربة والتونسيين واللفيف الأجنبي والحركى وبدأت زحفها.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وقد قدرت بعض المصادر القوات الفرنسية التي زحفت لتطويق قلعة الجرف بما لا يقل عن 45 ألف عسكري من مختلف الرتب والأسلحة وعدد لا يحصى من الطائرات الكاشفة والمقنبلة والدبابات والآليات. واستقدمت النجدات والإمدادات العسكرية من تونس التي كانت لا تزال خاضعة للهيمنة الفرنسية، وكذلك من المقاطعات المجاورة كباتنة، خنشلة وعنابة.

غير أن هذه الحشود لم تشفع لجنرالات فرنسا وخرجت جيوشها من الجرف الأشم وهي تجر أذيال الخيبة وتتجرع كؤوس الانكسار.

فقد تحولت مياه وادي هلال التي فاضت جراء الأمطار المنهمرة بغزارة إلى دماء بعد القتال الملتحم، وتناثرت على ضفاف الوادي وفي تجويفات صخوره جثث العساكر بالمئات ممتزجة بهياكل الدبابات، الآليات والشاحنات المتفحمة.

ومن الصعوبة بمكان تقدير خسائر الطرفين خاصة العدو، لأن هذا الأخير كان قد باشر أثناء المعركة إقامة مركز له بالجرف، وبالتالي لم يكن بالإمكان العودة إلى أرض المعركة في محاولة لتقدير الخسائر، وحتى سكان وادي الجرف (الجرافة) بعد تعرضهم للقصف غادروا المكان دون رجعة. ومن هنا تضاربت الأرقام حول خسائر العدو والمجاهدين. وكل طرف يحاول تضخيم قتلى وجرحى الخصم لأن الحرب النفسية كانت قد بدأت أثناء المعركة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وعموما استقر الرأي على فقدان العدو لـ: 800 قتيل، أكثر من 1.500 جريح وفقدان 100 آخرين، إسقاط ثلاث طائرات بين مقنبلة ومروحية، ضياع كميات لا تحصى ولا تعد من الذخيرة الحربية والكثير من الأسلحة كالبنادق الآلية (50 بندقية) وغيرها.

في حين تباينت الآراء حول عدد شهداء جيش التحرير الوطني وتضاربت بين 60-70 إلى 90-160 شهيد وما بين 60-90 جريحا. لكن هذه الآراء أجمعت على غنم ما لا يقل عن 50 بندقية أوتوماتيكية (آلية) وكميات جد معتبرة من الذخيرة التي كانت على متن قافلة البغال.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الأرقام يجب التعامل معها كمجرد تقديرات فقط.

وبعد انتهاء معركة الجرف وخروج جيش التحرير الوطني بأقل الخسائر نظرا للقوات الضاربة التي حشدتها فرنسا للقضاء عليهم من جيوش جرارة وأسراب لا متناهية من الطائرات الكاشفة والحاملة للقوات والمقنبلة وعشرات الدبابات والمجنزرات صبت سلطات الاستعمار جام غضبها على السكان العزل فأحرقت القرى والمداشر بالعشرات وقتلت الأهالي من النساء والأطفال والشيوخ وأهلكت وصادرت المواشي والمؤن وسلطت أشد العقوبات على السكان. وقد مكنها من تحقيق ذلك سياسة القمع التي سلكتها.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

فمنذ اندلاع الثورة إلى مطلع الستينات أقامت فرنسا على تراب ولاية تبسة الإداري 8 مراكز للتعذيب، 11 مركزا للمراقبة، 18 مكانا للتقتيل الجماعي للمواطنين العزل. وقد اكتشفت مؤخرا مقبرة جماعية في الشريعة تضم 650 رفاة، 8 محتشدات و 52 ثكنة أو مركز تواجد لقوات العدو. كل هذه الترسانة الجهنمية كانت فرنسا تحركها لقمع الشعب الأعزل من السلاح والمتمثل في النساء والأطفال والطاعنين في السن في محاولة لإحداث قطيعة لعزل المجاهدين عن الشعب.

لكنها فشلت في تحقيق هذه الغاية التي لا تدرك لأن المجاهدين خرجوا من صلب الشعب الجزائري ولم يكونوا أبدا لفيفا أجنبيا أو مرتزقة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الهوامش

1. العيد بوڤطف: معركة الجرف الكبرى منشورة ضمن: دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، إنتاج جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة، ولاية تبسة ص165، مطبعة ڤرفي باتنة.
2. فرسان ... الحرية (شهادات حية) محمد عباس ص191-192، دار هومة طبعة 2001.
3. المصدر السابق ص191.
4. المصدر السابق ص191.
5. شهادات مسجلة بالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، يوم 07 ماي 2002.
6. Mohamed larbi Medaci : Les Tamiseurs de Sable Aures-Nememcha 1954-1959, p114, Editions Anep 2001.
7. علي مسعي، العيد بوقطف، لسود مسعي، إبراهيم بوغرارة، أحسن محمد، الحبيب عباد، عبد المجيد بلغيث، نصّر بوعبيدة، أحمد بعلوج وعاشور لزهاري.
8. أ/ محمد زروال: اللمامشة في الثورة، دراسة صفحات: 455 إلى 459، دار هومة، 2003.

* ديوان محمد الشبوكي، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ص60.

** محاضرة د. عثمان سعدي الملتقى الأول حول دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، إنتاج جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة، ولاية تبسة ص156، مطبعة ڤرفي باتنة.

شهادات حول المعركة*

*هذه عينة من الشهادات التي تم تسجيلها بولاية تبسة من طرف مصالح المركز شهر جويلية 2007، وهناك شهادات أخرى سيتم نشرها لاحقا.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف

يخبركم عن قوى جأشنا
بجيش الزعانفة الآثمين*
ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: علي

اللقب: مسعي

تاريخ ومكان الازدياد: 1 جويلية 1927 بتازربونت دائرة الشريعة ولاية تبسة

انخرط في الحركة الوطنية لفترة قصيرة ثم التحق بالثورة مع بداية سنة 1955 وكان الطيب وحامد روابحية من بين الأفراد البارزين في الحركة الوطنية آنذاك والذين فرضوا التجنيد على مناضليها تحسبا للمستقبل ولتعلم فنون القتال واستعمال السلاح فكان هدفهم من الخدمة في الجيش الفرنسي هو التكوين العسكري بالدرجة الأولى.

لكن في 1950 اكتشف أمر المنظمة السرية وسجن أغلب مناضليها. من هنا حشدت فرنسا قواتها بكثرة على هذه المنطقة باعتبارها منطقة حدودية.

كان فرحي ساعي أول من تحرك في المنطقة وكوّن مجموعة مسلحة ابتداء من سنة 1955 ورفض الانخراط في الثورة التونسية.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بعدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

استطاع بابانا ساعي سنة 1954 – هذا الإسم الذي أعطاه إياه شيحاني بشير لأنه جنّد الكثير من المجاهدين- أن يجمع بجبل أم الكماكم ثلاث مجموعات وعددها حوالي 60 مجاهدا وهي مجموعة لزهر شريط ومجموعة وادي سوف ومجموعة ساعي فرحي. وأصبحت هذه القوة موجودة بمنطقة تبسة.

نصبت خلال هذه الفترة كمائن وجرت عمليات من بينها كمين 14 ماي 1955 الذي قامت به جماعة عمر البوڤصي بالعقلة وكانت نتيجته قتل خليفة الحاكم " دوبيو موريس" مع عون جزائري كان يعمل معهم وضابط فرنسي إلى جانب الأسرى الذين وزعوا في ما بعد على فرق جيش التحرير وغنموا سلاحين ثقيلين.

إلى جانب كمين بجبل القعقاع رغم أنه ليس لصالح القوات الفرنسية لكن غرضه كان الهدف منه هو زعزعة معنويات الجيش الفرنسي أكثر منه إحداث خسائر بشرية وغنم الأسلحة.

كما وقعت معركة أم الكماكم في الفترة الممتدة ما بين 23-25 جويلية (دون التعرف بدقة على يوم وقوع المعركة) التي كانت من الضربات الموجعة التي تلقتها فرنسا.

وقعت المعركة وكانت خسائر فرنسا الكثير من العساكر لأن الجبال عارية وجيشها لا يعرف جيدا هذه الجبال. ثم أن لجيش التحرير رجالا صيادين وقناصين لدرجة أن مجاهدا استطاع أن يصيب جنرالا في عينه عندما كان هذا الأخير يشاهد أجواء المعركة بمنظاره.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

انتهت المعركة وخرجت فرنسا مهزومة بينما سجل استشهاد حوالي 16 مجاهدا.

بعد ذلك قررت فرنسا القيام بعملية مسح شاملة لجبال النمامشة لأن الجبل الأبيض كانت تدور به العديد من المعارك. فقامت بحملة إعلامية بغية تشويه صورة المجاهدين واستغلت في دعايتها صور بعض عملاء فرنسا من الجزائريين الذين نفذ الجيش في حقهم حكم الإعدام عن طريق الذبح بالسكين لإحداث فتنة في ما بينهم.

لكن رد فعل القيادة كان بعقدها لاجتماع في رأس الطرفة بأرقو الذي حضره جمع غفير من المناضلين حتى الذين كانوا ضد الثورة. ألقى شيحاني أثناءه خطابه حث فيه على الوعي وأكد على أن قوتهم في الصبر والوحدة وليس لديهم حل آخر للاستقلال إلا استعمال البندقية. وكان من نتائج هذا الاجتماع وقوع معركة الجرف حيث حاصرت القوات الفرنسية جبل الجرف، حينها أعطى شيحاني أوامر بإخلاء المكان من السكان واستدعى قادة الوحدات وقام بعملية التوزيع بأم الكماكم، بوجلال وفرطوطة.

وقعت المعركة وتواصل القتال طوال ثلاثة أيام كاملة وفي لياليها كان العدو يقصف بالبطاريات. في اليوم الثالث اشتدت المعركة فقلق قادة الجيش الفرنسي لأن المعركة طالت وستشوه صورتهم أمام الجميع بسبب مجموعة من المجاهدين كان من المقرر أن تقضي عليهم بسهولة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وما كان من القوات الفرنسية إلا تكثيف قوتها الضاربة وعددها لذلك استخدمت القنابل الدخانية ليتسنى لها التقدم لكن قدرة الله فوق الجميع إذ هبت رياح قوية أخذت معها السحب الدخانية واستطاع جيش التحرير قتل الكثير من العساكر.

في الثلث الأخير من اليوم الثالث دخلت الدبابات إلى مواقع المجاهدين فصعب عليهم الأمر لأنهم أصبحوا على بعد أمتار وكانوا يطلبون منهم تسليم أنفسهم بقولهم : " سلموا أسلحتكم وسنشرب غدا القهوة مع بعض بتبسة لأنكم تعبتم."

كان الاجتماع وكان النقاش حول كيفية الخروج ومن سيبقى في الكهف لأن الأمور تعقدت وأصبحت فرص خروجهم ضئيلة جدا.

اقترح شيحاني بقاء كل من عجول عجول وعباس لغرور لكنهما رفضا وفضلا أن يبقى هو باعتباره القائد، حيث كان خطيبا ومثقفا باللغتين العربية والفرنسية.

عندها جاءهم بابانا ساعي وورتان بشير ليطلبوا منهم ضرورة الخروج أو الاستشهاد لأن القوات الفرنسية تمركزت في الأعالي تحسبا للغد. استطاعوا الخروج لكن بعد عناء طويل لأنهم كانوا في كل مرة يواجهون العسكر.

سقط من المجاهدين حوالي 60 إلى 70 شهيدا جلهم أثناء الخروج خاصة في الدفعة الأولى لأن عملية الخروج كانت على دفعات، ثمانية فقط استشهدوا داخل المعركة.

كان علي مسعي مع شيحاني عندما طلب منهم تزويده بنتائج المعركة. أما في ما يخص عدد الجيش الذي شارك في المعركة فحسب عبد الله بن أحمد كحلة رحمه الله أخبره إنه عند خروجهم من المعركة كان عدد الجيش يتراوح ما بين 180 إلى 200 مجاهد إضافة إلى المصابين الذين يتراوح عددهم ما بين 10 و 15 مجاهدا أما الشهداء فعددهم من 60 إلى 70 شهيدا. وحسب التقديرات فإن عدد الجيش كان 260 مجاهد.

أما خسائر الجيش الفرنسي فالمعلومات التي تحصلوا عليها من تبسة ومن عائلة مقربة جدا لفرنسا كان عددها 800 عسكري.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: العيد

اللقب: بوقطف

تاريخ ومكان الازدياد: 21 نوفمبر 1933

ببئر مقدم تبسة

التحق بالثورة في مارس 1955 بالجبل الأبيض تحت قيادة فرحي ساعي. وكان سبب التحاقه بالثورة أنه في جويلية 1953 طلب منه التونسيون تزويدهم بالأسلحة لمحاربة فرنسا لكنه رفض إعطاءهم بندقية أخيه مبررا ذلك بأنهم الجزائريون وسيحاربون فرنسا بهذه البندقية إن شاء الله.

شارك في معركة الجرف التي كانت ضربة للقوات الفرنسية وسببها كان معركة أم الكماكم هذه الأخيرة التي كانت البداية للمعارك على مستوى تبسة وهي التي أعطت درسا للفرنسيين.

ولهذا بدأت فرنسا تفكر في كيفية الانتقام ورد الاعتبار وقد وصلتها معلومات مفادها أن القيادة متمركزة في المنطقة وقالت إذا قضيت على هذه القيادة والمجاهدين فسأقضي على الثورة.

وكان بشير شيحاني قد قام بتنظيم تجمع للمواطنين المناضلين وغير المناضلين، وحثهم على الثورة ومساعدة المجاهدين. من هنا تسربت الأخبار عن تواجد قيادة الثورة وقادة الجيش هناك، فحضّرت فرنسا نفسها واستعدت للهجوم وحشدت قواتها متجهة إلى الجرف.

ومن بين القادة الذين كانوا مع شيحاني بشير: عجول عجول، عباس لغرور، فرحي ساعي، سيدي حني وعلي المعافي.

اصطدمت القوات الفرنسية مع المجموعة المتقدمة في حدود منتصف النهار بقيادة محمد بن عجرود وكان عددهم حوالي 28 إلى 30 مجاهدا. وكانت نتيجة هذا الاصطدام استشهاد كل المجاهدين بما فيهم محمد بن عجرود الذي قطع رأسه ووضع فوق سيارة من نوع jeep وطافوا بها ليبينوا للأهالي أنهم استطاعوا قتل قائدهم.

كان العيد بوڤطف ضمن المجموعة المتكونة من حمة بن زروال وعمربوڤصي والتي أرسلتها القيادة لتفقد أوضاع محمد بن عجرود، لكنهم فوجئوا لما حدث له ولمجموعته.

في آخر النهار تقدمت القوات الفرنسية زاحفة نحو المكان بالمشاة. وفي الصباح صار المكان كله محاصرا بالعسكر. بدأ بعدها تبادل إطلاق النار بين الطرفين. وقد حاولت القوات الفرنسية منذ الوهلة الأولى القضاء على جيش التحرير لكنها فشلت لصعوبة المكان

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

إلى جانب أنه من الناحية العسكرية فإن المدافع تكون له القوة أكثر من المهاجم رغم أنها كانت تملك سلاحا متطورا أكثر من المجاهدين.

عندما فشلوا في العملية تقهقروا إلى الخلف وبدأوا في التمهيد للهجوم بالمدفعية للقضاء على أكبر عدد ممكن من المجاهدين وهذه قاعدة عسكرية معروفة. بعد المدفعية جاء دور الطيران في قنبلة مواقع المجاهدين.

وقد خلف هذا القصف المدفعي خسائر في صفوف المجاهدين غير أن المكان كان محصنا ولو وقعت هذه المعركة في مكان آخر لما بقي أحد من المجاهدين على قيد الحياة.

جاء دور المشاة في الهجوم ثم خلفتهم المدفعية والطائرات. هذا كله خلال اليوم الأول من المعركة. وعندما قرروا الخروج ليلا صعب عليهم ذلك لأنهم كانوا محاصرين ويتعرضون للقصف بالبطاريات كل نصف ساعة أو أكثر.

استمرت المعركة في اليوم الثاني كما كانت عليه في اليوم الأول، أخذ ورد مع هجوم وانسحاب إلى غاية اليوم الثالث أين صعبت الأمور على المجاهدين وبدأت الذخيرة تنفذ والتموين يقل إلى جانب التعب الذي نال منهم.

في اليوم الثالث للمعركة استطاعت القوات الفرنسية أن تتقدم نحوهم وصوبت أسلحتها الثقيلة المنصوبة في اتجاه المجاهدين.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جاشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وفي المساء جاءت القيادة الفرنسية من جنرالات وضباط تطلب منهم تسليم أنفسهم وإلا سيصبحون غدا لعبة بين أيدي أبناء تبسة. رد عليهم شيحاني باللغة الفرنسية قائلا: "بفضل إيماننا وقدرتنا لن تستطيعوا القضاء علينا وإذا استلزم الأمر فسنموت شهداء".

استمرت المعركة لليوم الثالث، بعدها اجتمعت القيادة ودعت كل رؤساء الأفواج مع القادة وتم اتخاذ يقضي ضرورة الانسحاب، كما اتفقوا على حتمية بقاء شيحاني رفقة مجموعة صغيرة مسلحة في الكهف خوفا من أن يقتل إذا خرج. لأنه إذا نجح في الهروب فإن الثورة لن تموت.

بعد أن اكتشفت القوات الفرنسية مكان شيحاني وجماعته وهذا بعد أن ألقت القبض على مجاهد كان مع شيحاني وذلك عندما طلب منه إحضار الماء، فقامت بقنبلة الكهف معتقدة أنها قضت على المجاهدين وأولهم القائد. لكن بفضل الله سبحانه وتعالى لم يصب منهم أحد بأذى واستطاعوا الخروج والالتحاق بالمجاهدين بجبل "الجديدة".

استطاع بوقطف الحصول على ماس 36 فرنسية الصنع خلال هجوم قاموا به عند خروجهم وبها أربع خراطيش قتل بها عسكريا وقال بداخله: "هذا ابن الجزائرية وليس ابن الفرنسية".

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: لسود

اللقب: مسعي

تاريخ ومكان الازدياد: 1 جويلية 1929

بتبسة

تجند في 1 جويلية 1955 أصيب في معركة الجرف على مستوى القدم اليسرى وهذا خلال عملية الخروج حيث كان القتال على أشده مع عسكر العدو. وبعد اختراق صفوف هذا الأخير بمشقة التقى مع سيدي حني الذي طلب منه أخذ مجموعة من البغال كانت محملة بمعدات حربية من مدافع، أسلحة، ذخائر ومؤونة كانت متجهة كنجدات لعساكر العدو لكنهم اضطروا إلى قتل البغال وحمل المعدات.على ظهورهم لأنهم وقعوا في اشتباك مع العسكر استشهد على إثره بعض المجاهدين وكان لسود مسعي رفقة فرحي ساعي والشايب ساعد.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: إبراهيم

اللقب: بوغرارة

تاريخ ومكان الازدياد: 4 أكتوبر 1933 بالشريعة تبسة

كان شابا صغير السن عندما جاء إلى منزلهم فرحي ساعي ومعه 22 مجاهدا وطلب منه إن كان يود التجند فقبل رفقة سعيداني الربعي الذي تجند معه.

ذهب مع مجموعة من المجاهدين بقيادة محمد لخضر السوفي إلى وادي هلال وهو وادي كبير يمر على أرقو والجرف إلى أن وصلوا إلى مسحالة القريبة من مديلة وهناك شاهدوا العساكر فطلب منهم محمد لخضر السوفي عدم إطلاق النار إلى أن يركب العسكر على متن الشاحنات العسكرية ليتسنى لهم ضربهم. وفعلا تمت العملية واستطاعت المجموعة التي كان عدد أفرادها 40 مجاهدا قتل 10 عساكر والحصول على أسلحتهم.

بعدها شارك في معركة الجرف، حيث استدعتهم القيادة للتجمع بالجرف مع كل من مسعي علي وفرحي ساعي إلى أن امتلأ الجبل بالمجاهدين.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بقي حوالي أربعة أيام قبل بداية معركة الجرف، وخلال هذه الفترة كانت الطائرات البيضاء تحوم حولهم تقوم بتصوير المكان إلى جانب الطائرات الصفراء الكاشفة التي كانت تبحث عن مكان المجاهدين.

إلى أن جاء اليوم الذي تعرضوا فيه للقصف بالطائرات الصفراء. وبالتالي كان الرّد من قبل المجاهدين فانكشف موقعهم. تراجعت خلالها الطائرات وحلت محلها المدفعية التي حولت نهار المكان ليلا مظلما لا تستطيع أن ترى من بجانبك. بعد أن توقفت المدفعية جاء دور الطائرات وهكذا دواليك إلى غاية اليوم الثالث.

كان المجاهد إبراهيم بوغرارة مع الجماعة التي وزعتها القيادة بالجهة الشرقية عندما حوصر جبل الجرف كلية وهي جماعة شيحاني وبابانا ساعي وكان معهم السلاح الثقيل وأسلحة ألمانية.

بدأت المعركة وبدأ إطلاق النار في ما بينهم واستشهد على إثرها مجاهد كان قد أرسل لإحضار الماء من الوادي، رغم أن والده كان معهم لكنه لم يذرف دمعة واحدة.

في الليلة التي قررت فيها القيادة في اجتماع عقد من أجل ذلك، الخروج من أرض المعركة تم توزيع جيش التحرير على شكل فصائل للخروج لأنهم كانوا محاصرين وليس لديهم حل آخر.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

تقرر الخروج ليلا مع بابانا ساعي و البوقصي والكل خائف من الموت لكن بمجرد سماعهم الله أكبر تحمس الجميع واشتدت المعركة، استشهد البعض منهم وقتلوا عددا كبيرا من عساكر العدو تحت تأثير المفاجأة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: محمد

اللقب: احسن

تاريخ ومكان الازدياد: 10 جويلية 1934 ببلدية سطح ڤنتيس دائرة العقلة ولاية تبسة

تاريخ التجنيد: 1 مارس 1955 من طرف شريط لزهر.

بعد 20 يوما من تجنيد احسن محمد، قام بجولة رفقة عون عمر المدعو عمر البوڤصي إلى ناحية الزوي، بلكيطان وعين الطويلة لجمع المؤونة والأسلحة بالإضافة إلى تعبئة وتجنيد المواطنين ثم رجعا إلى ڤساس.

في أواخر ماي 1955 قاموا بنصب كمين ضد موريس حاكم تبسة العقلة وذلك بفضل اتصالاتهم الشعبية التي كانت تتبع تحركاته تم خلاله القضاء على ستة من مجموعة عساكر العدو المتكونة من 36 وأسروا الباقي، كما استولوا على شاحنتين عسكريتين إحداهما من نوع jeep بالإضافة إلى حقيبة الحاكم، بينما استشهد جنديان من صفوف المجاهدين.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا	يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا	بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف	ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد تنفيذ الكمين اتجهوا إلى العلق، ومنه إلى الجديدة حيث لحقت بهم القوات الفرنسية ودارت بينهم معركة استمرت إلى غاية الليل، شارك خلالها فوج احسن محمد إلى جانب جماعة تتكون من 60-100 مجاهد.

عادوا إلى العلق ومعهم ستة أسرى وضعوا تحت حراسة مشددة لكن لسوء الحظ هرب إثنان منهم إلى تازربونت القريبة من ثليجان.

بعد عملية البحث، وبمساعدة المواطنين عثروا عليهما، وسلموهما للإدارة المتكونة من: شيحاني بشير، شامي محمد، بوبكر سالمي وبشير ورتان الذين أمروهم بقتل جميع الأسرى وبالفعل تم تنفيذ الحكم. عادوا من تازربونت إلى أم الكماكم حيث توجد الإدارة والقيادة في هذه الفترة.

في منتصف صيف 1955 وقعت معركة أم الكماكم وهي معركة كبيرة حضّرت لها فرنسا جيدا لدرجة أنها جاءت بالصيادين الجزائريين الذين ذاعت شهرتهم في إصابة الهدف، ولا نعلم ما إن كانت قد جاءت بهم طوعا أو كرها.

بدأت معركة أم الكماكم في أواخر جويلية 1955 صباحا واستمرت إلى غاية التاسعة مساء تقريبا. كان المشرف على الأسلحة الثقيلة 24 و 29 طلقة، الشهيد دعاس لزهر رفقة مجموعته حيث كانوا متمركزين في أماكن صخرية محصنة مما مكنهم من القضاء على

سلوا جبل الجرف عن جيشنا	يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا	بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف	ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

العديد من عساكر العدو، وفي هذه المعركة استشهد عدد كبير من المجاهدين تذكر احسن محمد أسماء: دعاس لزهر، عوين السبتي، مومو مزيان والمقدادي. كما أنه لم يتم تحديد عدد شهداء وجرحى جيش التحرير و خسائر العدو التي كانت كبيرة من جرحى وقتلى.

شارك احسن محمد في معركة الجرف التي كانت كل قيادة جيش التحرير متمركزة فيه، وقد علمت فرنسا بذلك بسبب المؤتمر الذي عقد برأس الطرفة وحضره المواطنون، المناضلون، الأعيان والقياد، ما دفع بالخونة إلى الوشي بخطاب شيحاني بشير إلى فرنسا دون أن يعترض طريقهم أحد. وقد حصلت وشاية تفيد بوجود كل قيادة أوراس النمامشة بالمنطقة.

بدأت في الصباح، كان الجيش متمركزا بقلاع الجرف الحصينة التي تمكنه من الدفاع بأقل الخسائر. ورغم القوات، الأسلحة، الدبابات والطائرات التي جندتها فرنسا، فإن المعركة دامت ثلاثة أيام. وعندما صدر أمر القيادة بالخروج، استُعملت جميع الأسلحة حتى البيضاء منها، وبلغ الأمر إلى الاشتباك بالأيدي فأصبح وادي الجرف كله دما. وتمكن جيش التحرير الخروج عنوة وانتشر في ضواحي الجرف.

خرج احسن محمد رفقة أربعة جنود: ريماني صالح وأيمن الجموعي.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد المعركة بأسبوع، خرج محمد احسن إلى البهانة بعدها إلى العلق ومن ثم كانت وجهتهم إلى الجديدة، ثم إلى عالي الناس حيث اجتمعت إدارة منطقة أوراس النمامشة.

معركة الجرف حققت نجاحا لأنها كانت من ضمن العوامل التي أوصلت القضية الجزائرية إلى هيئة الأمم المتحدة، مما دفع بفرنسا إلى الاعتراف بجيش التحرير والثورة الجزائرية.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
وبعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: الحبيب

اللقب: عباد

المدعو: قرفوف

تاريخ ومكان الازدياد: 01 جويلية 1930 بالشريعة

عاش عباد الحبيب حياة البادية، حيث كان والده يملك أرضا وكان دائم الخصام مع القياد.

كان قبل الثورة يشتري مخلفات أسلحة الحرب العالمية الثانية من بنادق ذات ست وخمس طلقات إيطالية الصنع، وهذا من الحدود التونسية قصد المتاجرة بها.

حكم عليه بالسجن لمدة ثمانية أشهر وغرامة مالية قدرها ثمانية آلاف فرنك إثر اعتدائه ضربا على حارس الغابات بالعصا في سوق الضلعة. ولم يسجن لأنه انتقل مع عائلته إلى الدرمون.

في شهر جانفي 1955 التقى عباد الحبيب مع جاب الله وملكية جديدي وذهبوا للبحث عن السلاح فوصلوا إلى غاية سدراتة ثم إلى ناحية الزوي حيث التقوا مع موسى رداح، بوعون لعروسي المدعو حشحوش وصالح الثابتي.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بعدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وفي تازربونت التقوا بشيحاني، سيدي حني، فرحي ساعي، حمة بن عثمان، بوعون بوقطف الذي استشهد بالقعقاع، الشايب الصادق وعبد الله كحلة الذي كان يعمل في البريد.

قام بشير سيدي حني بتكليف عباد الحبيب بإيصال رسالة إلى الشيخ أحمد شرفي في بن فالي بالحدود التونسية وذلك رفقة بومعراف، الطيب لندوشين، عمارة بن حامي وأبناء الصيد وهم: عمر، عثمان، الطاهر والوردي ابن الطيب.

بعد تسليم الرسالة اتجهوا إلى العنبة ثم عادوا إلى تازربونت. وهناك طُلب منهم الذهاب إلى الحدود التونسية لجلب الأسلحة وكان معهم عبد المجيد بلغيث.

قبل ذلك كان عباد الحبيب قد هاجم مركز الدرناية في جبل بوجلال بقيادة الزين عباد وعلي عفيف، غنموا من خلاله أسلحة.

أثناء عودتهم نصبوا كمينا للحراس في جبل الصمامة، فقتل عبد المجيد بلغيث رئيس الحرس كما قام عباد الحبيب وجماعته بحرق الشاحنة العسكرية ثم أطلقوا سراح الحراس. في الغد وقعت معركة أم الكماكم وصادف ذلك اليوم عيد الأضحى المبارك، فكانت أول مواجهة مع فرنسا في جبل سيدي ظاهر ثم تلتها معركة الجرف.

بعد أيام، أمرهم شيحاني بالرحيل. وعندما وصلوا إلى الجديدة عقد شيحاني اجتماعا وطلب منهم ضرورة إخبار الشعب بأن المجاهدين ليسوا فلاقة أو قطاع الطرق كما تدعي فرنسا.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعدها أخذ عباد الحبيب فوجا واتجه ناحية الزوي، الضلعة ومسكيانة لأداء مهمته، وكلفوا دوريات تقوم بإبلاغ المواطنين بمكان وزمان الاجتماع.

تميز الاجتماع بالحضور الكثيف للشعب. ألقى شيحاني خطابه الذي قال فيه: " اشهد أيتها الجبال والكهوف، واشهد أيها الشعب أننا مجاهدون في سبيل الله وفي سبيل الاستقلال، وليست لدينا أهداف أخرى."

اتجه بعدها عباد الحبيب رفقة الجماعة إلى الجرف، في اليوم الثالث حلقت الطائرات الكاشفة فوقهم، ومن جانب آخر قدمت دوريات من المجاهدين الذين كانوا في الجبل الأبيض، تازربونت وعالي الناس تخبرهم بأن العساكر قادمون من الصحراء على الإبل ومن الجهات الأخرى بواسطة الدبابات، ذلك لأن فرنسا علمت بوجود شيحاني والقيادة بالجرف من خلال عملائها. فأعدت قوتها من المشاة وأحضرت من الصحراء جماعة المهاري وفيلقا من الطابور المغربي والتونسيين.

بعد تبادل إطلاق النار طلب شيحاني من الجماعة العودة إلى الجرف، أما عباد الحبيب والمجموعة الأخرى فقد واصلوا سيرهم إلى مسحالة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جاشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

اتجه المعني في الغد مع جماعة من المجاهدين إلى "الدحي" حيث اشتبكوا مع عساكر العدو. في الليلة الموالية التقوا مع الجماعة التي خرجت من الجرف في منطقة "الجديدة" غير أن القوات الفرنسية حاصرتهم، فانتظروا حتى الليل ليتسنى لهم الخروج متجهين إلى الخناق لكحل.

وهكذا إلى أن وصلوا إلى الفج غرب "الجديدة"، هناك التقوا مع عجول عجول، عباس لغرور وتيجاني عثماني ثم اتجه الجميع إلى "السطح" غرب الجرف حيث علموا من أهالي المنطقة أن عساكر العدو بصدد بناء ثكنة أمام الكهف المختبئ فيه شيحاني وجماعته. بقيت الجماعة بالمنطقة وفي اليوم التاسع قدم المناضل لعبيدي يونس وأخبرهم عن قدوم مجموعة تتكون من سبعة أشخاص، لا يعرفهم. قاموا على إثرها بإرسال دورية متكونة من العربي شايب الراس، الطاهر حاجي وعبد الرزاق لتقصي الأمر. وبعد فترة عادت الدورية ومعها بشير شيحاني، الشايب علي، محمد شامي، محمد الصغير، عبد الحميد زروال، عبد العزيز سديرة وبوساحة عون الله. وقد كان في حالة يرثى لها.

يذكر عباد الحبيب أنه في اليوم السابع بدا للشايب علي ضوء كالنجمة بقي يتتبعها إلى أن وصل إليه فوجد ثقبا صغيرا، أخذت الجماعة في توسيعه إلى أن صار بالقدر الذي يكفي لخروج شخص منه فتمكنوا من الخروج من الجانب الخلفي للكهف.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

ذهبوا إلى الشايب لعبيدي حيث مكثوا مع عباد الحبيب والجماعة. من هناك عادوا إلى الخناق لكحل أين صلى بهم شيحاني رحمه الله في صفية الوادي، وذكّرهم بأن الاستقلال قريب لكن قليل منهم سيحضره. مكثوا هناك 5 أو 6 أيام، بعدها طلب عباد الزين من شيحاني إذنا بالعودة حيث كانوا، لطمأنة أهالي المجاهدين الذين ظنوا بأن ذويهم ماتوا جميعا في معركة الجرف.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: عبد المجيد

اللقب: بلغيث

تاريخ ومكان الازدياد: 5 ماي 1930 بالشريعة.

نشأ عبد المجيد بلغيث وأخويه يتامى بعد وفاة الوالدين في سنة 1945، ولا علاقة لوفاتهما بأحداث 8 ماي 1945، فتربى الأطفال في كنف أعمامهم، وكانوا يعيشون حياة البداوة كباقي سكان المنطقة.

كان أعمامه منخرطين في حزب الشعب الجزائري فترعرع في جو يتميز بالنضال والوطنية، وعند اندلاع الثورة كان شابا.

وفي شهر ديسمبر من نفس السنة التقى بمجموعة من المجاهدين في الصحراء جنوب نقّرين وهي الآن دائرة بولاية تبسة منهم واحد يدعى فارح الطيب استشهد رحمه الله، وآخر من أولاد عبيد يدعى بلقاسم قلبي.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

قبل لقائه بالمجاهدين رغب عبد المجيد بلغيث في التجنيد والالتحاق بالثورة، ومن أجل ذلك تحدث في الأمر مع أحد أعمامه وهو الوردي فقال له: "نسمع بالثورة في الأوراس وهناك سلاح ودعاية"، وأخبره عن لقائه بالمجاهدين جنوب نقرين وعزمه على التجنيد فكان رد عمه: "أنت الآن جالس خلف المدفع وتريد أن تواجهه". وأصر عبد المجيد بلغيث بأن الثورة انفجرت وأنه ليس أفضل ممن تجندوا، مدعما كلامه بأن الثورة قامت في تونس والمغرب "وفي الجزائر لدينا رجال أبطال فجروا الثورة ولا بد من الالتحاق بهم". وبعدما صمت قليلا كان رد عمه: "يا ابن أخي إن الجهاد في سبيل الله قد أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم". لكن تريث حتى يتجند بعض رجال العرش لنطمئن عليك".

اتفق عبد المجيد بلغيث مع أحد أقربائه يدعى صالح بلغيث استشهد في ما بعد وآخر يدعى حسين حي الدين لا يزال على قيد الحياة، للذهاب إلى جبل أم الكماكم الذي يبعد عن الشريعة بحوالي 70 أو 80 كلم في عملية بحث عن المجاهدين.

واستعدادا لرحلة البحث هذه، ذهب الرفاق الثلاثة إلى أحد الدكاكين فتناولوا بعض الأكل، ومن دكان ثان اشتروا أحذية رياضية مصنوعة من القماش espadrilles ثم ساروا في العشية إلى الجنوب من الشريعة ولم يعودوا إلى أهاليهم.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

عندما وصلوا إلى عين البيوش الواقعة قرب الجبل طلب صالح بلغيث من رفاقه انتظاره لأنه سيذهب إلى البيت لإحضار بعض الأغراض. لكن الشمس غربت ولم يعد. ففكر بلغيث بأن صالح قد غير رأيه. فركض بمعية رفيقه إلى أن وصلا ليلا إلى منطقة الحماد الواقعة شرق ثليجان.

وبعد استراحة قصيرة بالقرب من أحد المنازل نادوا على صاحبه: يا محمد، يا محمد، فلما خرج عرف محدثنا أنه ينتمي إلى عرشه فطلب من رفيقه حسين حي الدين أن يطلب منه تحضير العشاء لمجموعة من المجاهدين. وبالفعل أحضر لهم الكسكسي والماء.

بعد تناول العشاء ابتعد عبد المجيد بلغيث ورفيقه قليلا عن تلك المنازل لأخذ قسط من الراحة والنوم. وكان كلما أيقظ صاحبه لمواصلة الطريق لأن الجبل لا يزال بعيدا يقول له سأنهض بعد قليل. عندما أشرقت الشمس قال له حسين لقد ندمت لأنني لم أستشر الوالدين في الأمر ولهذا سأعود إلى البيت وسنلتقي مرة أخرى. خاف بلغيث أن ينتشر خبر التحاقه بالثورة فأخذ عهدا من زميله بالتكتم وواصل طريقه بحثا عن المجاهدين في الجبال مدة 15 يوما دون جدوى. وبعد أن فقد الأمل في ربط الاتصال بالمجاهدين لأنه أصبح وحيدا بعد ذهاب رفيقيه قرر التوجه ناحية الجرف، تزربونت وغيرها من الجبال بحثا عن معلومات قد تدله على أماكن تواجدهم.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا	يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بعدى بطشنا	بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف	ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وقادته رحلة البحث هذه إلى "أم يعلا" بالدرمون، ومنها إلى شعاب الجراف حيث التقى بشخصين أحدهما غريب عن الدوار يدعى علي بورقعة، وبعد اللقاء في منزل عبد الحميد ڤابة الذي أصبح في ما بعد مناضلا واستشهد في ميدان الشرف. وتناول القهوة والأكل. اعترف عبد المجيد بلغيث بأنه يبحث عن المجاهدين وأعطاهم اسمه الحقيقي وبأنه من الدوار الفلاني ومن العرش الفلاني بالشريعة وكان قد قال قبل ذلك بأنه جاء يبحث عن بعير شرد منه. وبعدما تأكد محدثوه من صدق نيته وإخلاصه أحضر عبد الحميد صاحب المنزل العشاء للجميع ثم قاموا لصلاة العشاء.

ترك علي بورقعة البغال عند عبد الحميد ڤابة وأخذ معه عبد المجيد بلغيث، ولما وصلوا إلى دوار الفراحنة بالقرب من الجرف وجدوا دورية من المجاهدين فتركه هناك. ومن هنا بدأت رحلة الجهاد بالنسبة لعبد المجيد بلغيث الذي تنقل مع الدورية بقيادة الطيب فارح في عدة أماكن إلى أن عادوا إلى أم الكماكم. ثم ذهب رفقة شخصين إلى "أرڤو" بئر العاتر، لأن هناك منطقة في شمال الجرف تمسى أيضا أرڤو مشهورة بالمعارك التي جرت فيها. هناك وجد لزهر دعاس مع فوجه فانضم إليه. قد يصل عدد أفراد الفوج إلى الـ 50. وكان سيدي حني (بشير ورتاني) قد كلف لزهر بالتنظيم.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وقد طلب أحدهم من عبد المجيد بلغيث أن يبقى معهم لكن لزهر دعاس رفض الاقتراح قائلا إن بزويش عبد المجيد قد ظل 15 يوما في الجبال جادا في البحث عني وقد جاء مع دوريتي فلا بد أن يعود معنا. وكان دعاس مسؤول منطقة أم الكماكم واستشهد في معركة الجرف.

أول مهمة قام بها بلغيث بعد التحاقه بدورية لزهر دعاس هي ذهابه رفقة خمسة مجاهدين مع السبتي ابن عم لزهر إلى "فركان" ناحية نقرين حيث علم لزهر بأن أحد "القومية" من فركان قد عاد إلى الدوار فكلفهم بإحضاره مع سلاحه أو قتله إذا تعذر الأمر. وتصادف أن كان عساكر العدو قد خرجوا من فركان في مهمة للبحث عن محمد الأخضر السوفي المتواجد في المنطقة بجيشه. وبعد أن أخذت الدورية بعض الزاد خرجت باتجاه الوادي حيث توجد الصخور، وهناك اشتبكوا مع العدو دون أن تسجل لديهم خسائر. وبعدما التقوا بقائدهم لزهر دعاس الذي نفذ حكم الإعدام في حق أحد حراس الغابات، شنوا هجوما على مركز لجيش العدو يقع في الشريعة ثم عادوا إلى "أم خالد". بعدها انتقل عبد المجيد بلغيث للعمل تحت قيادة الزين عباد الذي أرسل دورية إلى الحدود لإحضار الأسلحة. وأثناء عودتها اشتبكت مع العدو وتمكن بلغيث من قتل مفتش شرطة في كمين بجبل سمامة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد معركة أم الكماكم التي كانوا متمركزين بالقرب منها دون المشاركة فيها، توجهوا إلى الجبل الأبيض، والتقوا بشيحاني في مسحالة. وهنا سلّم الزين عباد المسدس والمحافظ التي تم غنمها في جبل سمامة إلى القائد شيحاني، وكان معه محمد شامي الذي طلب من الزين أن يترك عبد المجيد بلغيث مع القيادة.

ويذكر بلغيث أن شيحاني صلى بهم جمعتين. الأولى في "الجديدة" ناحية الخناق لكحل والثانية في مسحالة، وكان فصيح اللسان صوته شبيه بصوت عيسى مسعودي. ثم توجه الجميع إلى القلعة. ومنها ذهب شيحاني في دورية ثم عاد بعد مدة قصيرة إلى الجرف، لأنه أراد أن يربط اتصالا مع الشعب لعقد مؤتمر يشرح خلاله الخطوط العريضة للثورة ويعرف بالمجاهدين. خرج شيحاني رفقة الزين عباد الذي كان محل ثقته مع مجاهدين هما عثمان عكروت ولخضر جلال، بينما بقي بلغيث ومجاهدين آخرين في الحراسة. وعند عودته قرر شيحاني إرسال دوريات إلى كل الجهات والمسؤولين المعروفين مثل محمد بن رجب وموسى سعدي. اتصلت كل دورية بمجموعة وأخبرتهم بمكان الاتصال واسم المسؤول. دامت العملية ثلاثة أيام إلى أن انتهت باجتماع رأس الطرفة الواقع بين الجرف وأرقو وقد ألقى شيحاني أثناءه خطابا هاما.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

في اليوم الذي سبق معركة الجرف الكبرى خرج محمد بن عجرود بفصيلته فاشتبك مع العدو في أم خالد واستشهد مع جنوده، واشتبك عمر لمعافي مع العدو في "لعويجة" بناحية خنشلة، واصطدم جيش لزهر شريط بأم الكماكم مع جيش العدو القادم من بئر العاتر. أما عبد المجيد بلغيث فقد كان ضمن الجيش الذي يقوده الزين عباد حيث طلب منه شيحاني الخروج أولا لاستطلاع الطريق وخرج بعده شيحاني، لكن عند الوصول إلى حليق الذيب (1 أو 2 كلم عن الجرف)

اشتبك الزين عباد وجيشه مع العدو، فأعطى شيحاني الأوامر بعودة الجيش إلى الجرف وقام سيدي حني بإبلاغ القادة بذلك، لكن الزين عباد وجيشه لم يتمكنوا من العودة إلى الجرف لأن العدو حال دون ذلك، فاتجهوا ناحية "الجديدة".

بعد انتهاء المعركة التي دامت ثلاثة أيام عاد بلغيث مع دورية لاستطلاع أمر العدو هل غادر المكان أم لا حتى يتسنى إرسال دورية للبحث عن القائد شيحاني. وعندما أخذ مكانه في الحراسة رأى بلغيث الشخص الذي أرسله شيحاني بعد خروجه لربط الاتصال بالزين عباد.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: نصّر

اللقب: بوعبيدة

تاريخ ومكان الازدياد: 29 مارس 1933 ببلدية المزرعة دائرة بالعقلة ولاية تبسة

التحق نصّر بصفوف جيش التحرير الوطني في 15 جوان 1955 تحت قيادة بشير ورتاني المدعو سيدي حني مسؤول الناحية.

عقد اجتماع رأس الطرفة بأمر من شيحاني لتوعية السكان وإبلاغ العدو عن انفجار الثورة في المنطقة وحضر هذا الاجتماع كل قادة الناحية منهم: الزين عباد، الحاج لحبيب، الوردي ڤتال، الساعي وعمر البوقصي.

بعد الخطاب الذي ألقاه شيحاني على القادة، الجيش والسكان انطلق المسؤولون في التخطيط العسكري وتقسيم الأفواج والنواحي، كانت الأمور تجري في سرية تامة حيث لم يكن أي جندي يعلم بقرارات القادة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

عادت الفرقة أدراجها، وبعد نصف ساعة أو ساعة أو ساعتين من وصولها إلى الجرف، جاء الجنود مسرعين وأخبروهم بأن العدو قادم.

تمركزت القوات الفرنسية في جبل صغير بثليجان وبدأت بإطلاق النار على المجاهدين وقنبلة المكان بالمدفعية.

لم يفرّق العدو بين مجاهد أو شخص مدني، ولا بين رجل أو امرأة أو طفل بل اعتبر سكان وادي الجرف (الجرافة) من الفلاقة فهاجموهم. ظل العدو يهاجم يوما كاملا في كل الجهات ما عدا الجهة الجنوبية للكهف حيث كانت القيادة لأنه لم يتمكن من الوصول إلى هناك.

في اليوم الثاني من معركة الجرف أحضر العدو الجرافات التي مهدت الطريق ليتمكن من الدخول، ولما بدأت قوات الاستعمار بالتسلق للوصول إلى الكهف، وضع المجاهدون سلاحا ثقيلا من عيار 24 وآخر من عيار 20 في جهتين متقابلتين للدفاع عن القادة المتواجدين في الكهف، ولأن العدو كان يهاجم في كل الاتجاهات، استعمل المجاهدون الكثير من الخراطيش التي وزعت عليهم ليلا، ولم يكن أحد يعلم بكمية الذخيرة الموجودة فالأمور كانت تجري في سرية تامة بين المسؤولين.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

خلال المعركة تعذر على المجاهدين إحضار الماء، وكل من يخرج في طلبه يسقط شهيدا، من بينهم الشهيد الشاب علي سماعل الذي كان جالسا مع نصّر بوعبيدة وسيدي حني تحت صخرة، سأل هذا الأخير قائلا: "من يسبل نفسه في سبيل الله ويذهب لإحضار الماء"، فتطوع علي سماعل لهذه المهمة حيث لف منديلا في خصره ووضع سكينا بوسعاديا لكن ما إن هم بالخروج من الكهف وإذا بطائرة تقنبل المكان، فسقط أرضا وبدأ جسده ينزف بغزارة، سحبه الجنود إلى الداخل وما إن علم والده الزين بذلك حتى جاء مسرعا من المطبخ ونزع لابنه ذلك المنديل ولفه في خصره ثم عاد لتحضير الخبز، ليلفظ الشاب متأثرا بجراحه أنفاسه الأخيرة.

تمكنت قوات العدو من الصعود فوق الكهف في اليوم الثالث من المعركة وألقت المتفجرات بهدف تدمير الكهف والقضاء على القادة لكن مخططها باء بالفشل كون صخور الكهف شديدة الصلابة.

في آخر ليلة من المعركة أمر القادة كل جندي بالبقاء في مكانه والاستعداد للخروج من المكان أو الاستشهاد وفعلا تمكن سيدي حني، عجول عجول، الوردي ڤتال ونصّر بوعبيدة من الخروج وتوجهوا إلى الوادي، وفي طريقهم إلى هناك حلقت طائرة معادية فأطلق الوردي ڤتال النار عليها ببندقية ذات 8 طلقات لإطفاء ضوء الطائرة والتمكن من الهروب.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا	يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بعدى بطشنا	بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف	ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

لكن لما وصل سيدي حني وجماعته إلى الوادي وجدوا الحركى المغاربة العاملون في جيش العدو، فهاجمتهم جماعة سيدي حني وهم يصرخون "الله أكبر، الله أكبر"، لكن نصّر بوعبيدة أصيب في كتفه بعدما أطلق عليه أحد الحركى الرصاص فسقط أرضا وفقد سلاحه، هذه الإصابة أعاقته عن مواصلة الهجوم مع إخوانه، وهو يتألم رآه أحد الجنود فذهب إليه مسرعا وسأله إن كان بإمكانه السير فأجابه نصّر بنعم خوفا من أن يقتله.

واصل رفاق نصّر بوعبيدة الاشتباك مع جيش العدو حيث استعملوا كل ما توفر لديهم من إمكانيات كالسلاح الناري، السلاح الأبيض أو استعمال حركات الرياضات القتالية. بعد الاشتباك ذهب سيدي حني، عجول عجول، الوردي ڤتال وابن عم نصّر بوعبيدة إلى العلڤ حيث أخبروا السكان بأن نصّر بوعبيدة مصاب فأرسلوا إليه شخصين لإحضاره.

ظن المجاهدون بأن نصّر بوعبيدة ميت لا محالة وطلبوا من علي مراح وحارسين اثنين تفقد حالته من حين لآخر، لكن نصّر بوعبيدة طلب من علي مراح إحضار أي شخص من عائلة جعفر، وجاء عثمان جعفر إليه وطلب منه نصر بوعبيدة أخذه إلى منزله، وهناك عالجه الطبيب وأخبره بأن الرصاصة خرجت من جسده (لكن الحقيقة غير ذلك لأن الرصاصة بقيت في جسده إلى غاية سنة 1959 حيث نزعها له الطبيب تيجاني هدام في تونس).

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

لم يبق نصر بوعبيدة طويلا في منزل عثمان جعفر حيث تم إخباره بأن عساكر العدو يبحثون عنه فهرب من هناك واتجه إلى مكان يدعى بجن وبقي مدة أسبوع أو أكثر لكنه هرب ليتجه إلى مكان آخر لنفس السبب. ويوما بعد يوم أخذ جرحه في الاندمال.

بعد ذلك شارك نصر بوعبيدة في معركة أرقو سنة 1956، كانت معركة كبيرة حيث أصبح فيها الليل نهارا والنهار ليلا. ورغم كل تلك المحن مدّ الله في عمر نصّر بوعبيدة الذي قدم شهادته حول مسيرته النضالية وجهاده في سبيل تحرير الوطن.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: امحمد

اللقب: بعلوج

تاريخ ومكان الازدياد: سنة 1922 ببلدية بجن ولاية تبسة

التحق امحمد بعلوج بصفوف الثورة المظفرة في 20 ماي 1955، حيث خرج من قُساس إلى جبل أم الكماكم، الجرف والجبل الأبيض.

كان المسؤولون المعروفين آنذاك في المنطقة هم: مصطفى بن بولعيد، بشير شيحاني، عباس لغرور، عجول عجول، جيلالي السوفي ومحمد لخضر السوفي.

شارك امحمد بعلوج في معركة أم الكماكم وهي معركة كبيرة ومهمة حيث استشهد فيها الكثير من المجاهدين من بينهم: العامل على القطعة من السلاح الثقيل ويدعى مزيان الزين، وشقيق فرحي الساعي التكوكي، فارسي التومي وبعلوج عبد الله وأصيب لزهر دعاس بكسور.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا | يخبركم عن قوى جاشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا | بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف | ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

خاض امحمد بعلوج هجومات 20 أوت 1955، حيث أرسل بشير شيحاني كل الجنود لمهاجمة مراكز العدو تضامنا مع الملك محمد الخامس كما قيل لهم. وهكذا شنت الفروع والأقسام هجومات على مراكز بئر العاتر، نقرين، تبسة، الكويف وغيرها.

بعد معركة أم الكماكم اتجه المجاهدون إلى وادي هلال لكنهم وجدوا العدو هناك فغادروا المكان متوجهين إلى مسحالة وكان قد أخذ منهم التعب، الجوع والعطش. وهناك وجدوا شيحاني في مركز قيادته فأخذوا قسطا من الراحة وتناولوا بعض الطعام ثم واصلوا طريقهم إلى عالي الناس بالأوراس هروبا من عساكر العدو الذين كان عددهم كبيرا.

طلب شيحاني من الجنود الاتصال بالسكان لحضور لقاء سيعقد في رأس الطرفة وهو مكان يقع أعلى الجرف ليلقي خطابا عليهم. وفعلا تم ذلك حيث اجتمع شيحاني بالجيش والمواطنين الذين جاءوا من مختلف النواحي: الشريعة، تبسة وبئر العاتر. لقد كان شيحاني خطيبا ممتازا، تناول في خطابه عدة نقاط أهمها: ضرورة مساعدة الثورة لأن هناك من يدعمهم من الخارج، كما أعلم السكان بأن الجزائر ستستقل طال الزمن أم قصر، سواء كانت التضحيات كبيرة أو قليلة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

وكان ضمن من حضروا اجتماع رأس الطرفة بعض الوشاة الذين سارعوا بإبلاغ العدو بذلك فقام هذا الأخير بتطويق المنطقة. ومباشرة بعد انتهاء اللقاء اضطر القادة والمجاهدون إلى مغادرة المكان والتحصن بالجرف توجسا من وقوع وشاية.

وكانت كل قيادة المنطقة الأولى أوراس – النمامشة هناك إضافة إلى حوالي 350 مجاهد مقسمين إلى فروع. وفي صبيحة اليوم الموالي كشفت الدوريات الاستطلاعية التي خرجت قوات العدو قادمة من نقرين، تونس، المغرب، تبسة وخنشلة لمحاصرة المكان. وفي نفس الوقت شاهد الحراس شخصا يلوّح من بعيد حاملا رسالة من باشاغا خنشلة الهاشمي بن شنوف تقول حرفيا: "خذوا حذركم إن هذه العملية تهدف إلى القضاء على الثورة وقوام جيشها 30 ألف عسكري يجب أن تخرجوا إلى تونس". يقول امحمد بعلوج لم يكن في استطاعتنا الخروج إلى تونس لأننا حوصرنا من كل الجهات وليس هناك مكان قريب أحصن من الجرف لأنه عبارة عن جبال كبيرة.

وهكذا انقسم المجاهدون إلى أفواج وأخذوا أماكنهم للدفاع عن أنفسهم ومواقعهم بعد بدء المعركة، وتمكنوا فعلا من ذلك خلال اليومين الأول والثاني، لكن في اليوم الثالث بدأ نقص الذخيرة والمؤونة يطرح بحدة.

في اليوم الثالث من المعركة شدّدت فرنسا من ضرباتها نحو قلعة الجرف، يقول بعلوج ما معناه أن في هذا اليوم كان عدد الطائرات

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

المقنبلة يتجاوز الـ 25 وهي تحلق في أسراب متتالية بينما انتشر عساكر العدو بكثافة لا نظير لها. وفي ظل هذه المعطيات عقد القائد شيحاني لقاء لقادته المقربين، تقرر خلاله الخروج وبقاء شيحاني ومجموعة صغيرة في الكهف مع تزويدهم بالذخيرة، التموين، المياه والأدوية دون أن يعلم باقي الجنود بذلك.

عند خروج امحمد بعلوج مع الجنود ليلا كانت الأمطار تسقط بغزارة وأذّن كل من "الحركة" من وادي سوف و بوڤصة من تبسة أن "الله اكبر، الله أكبر" وردّدت الجبال والكهوف الآذان مما أحدث مفاجأة وسط عساكر العدو الكامنين على ضفاف وادي هلال. خرج المجاهدون باتجاه مسحالة حيث مخازن التموين لأنه لا وجود للسكان في تلك الأماكن إلى غاية الوصول إلى فركان و نڤرين، وهم يعتقدون بأن مسحالة خالية من جيش العدو.

في اليوم الثاني من الخروج من معركة الجرف أو اليوم الخامس من المعركة كما يسميه بعض المجاهدين أصيب امحمد بعلوج بجرح في رأسه إثر اشتباك مع العدو فذهب إلى الجديدة لتلقي العلاج على يد الممرض علي شريط. والجديدة كانت عبارة عن مركز للتموين وعلاج الجرحى والراحة. بعدها اتجه امحمد بعلوج إلى دشرة الطلبي بالقرب من خنشلة إلى أن تمكن شيحاني ورفاقه من الخروج من الكهف والتوجه إلى هناك حيث قام القائد بتنظيمات جديدة وتعيين القادة. وظل شيحاني هناك إلى أن نفذ فيه حكم الإعدام مع كاتبه.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بعد هجومات 20 أوت 1955، ومعركتي أم الكماكم والجرف وإبلائه البلاء الحسن، شارك امحمد بعلوج في معركة "أرقو" الكبرى 17-18 جوان 1956 وسببها اكتشاف العدو لوفد سوق أهراس المتوجه إلى مؤتمر 20 أوت 1956 والذي يضم على وجه الخصوص: محمود الشريف، لزهر شريط، عمر البوقصي، الوردي قتال وغيرهم ودامت المعركة ثلاثة أيام، ثم شارك محدثنا في معركة ثانية بأرقو، ويعدّ امحمد بعلوج ستة إخوة شهداء و 22 شهيدا من أبناء عمومته سقطوا كلهم في ميدان الشرف.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا — يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا — بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف — ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

الاسم: لزهاري

اللقب: عاشور

تاريخ ومكان الازدياد: سنة 1933

القريقر تبسة

التحق عاشور لزهاري بصفوف الثورة في أوائل سنة 1955 بالجبل الأبيض رفقة شقيقه رشيد الذي استشهد بعد ذلك في ميدان الشرف وأكمل ملحمة الجهاد أخواه الآخران وهما حيان يرزقان. انضم لزهاري إلى مجموعة الزين عباد حاملا معه بندقية صيد تقليدية فسلمت له بندقية ايطالية الصنع من نوع ستاتي. كان الزين عباد على رأس جيش قوامه ما بين 40 و 50 جنديا ومكلف بالقيام بمهام مختلفة وفي أماكن متعددة مما يجعله يتنقل بجيشه من منطقة إلى أخرى حسب الظروف.

بعد مرور بضعة أشهر على التحاقه بالثورة جاءت الأوامر بعقد اجتماع أو ملتقى رأس الطرفة بمنطقة الجرف، فنفذ لزهاري عاشور رفقة إخوانه المجاهدين الأوامر، وقد التقى بالمكان المحدد حوالي 200 مجاهد، كما دعي لحضور الملتقى سكان المنطقة خاصة الأعيان الذين جاءوا حتى من تبسة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جاشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

ولأن الأمور كانت تسير بسرية تامة يقول لزهاري "لم نكن ندري بالأحداث إلا بعدما تقع"، كما أن الأغلبية الساحقة من المواطنين المجتمعين في وادي هلال لا يعرفون المجاهدين، وعند رؤية هؤلاء بالزي العسكري وهم يحملون السلاح فرح المواطنون، ومن لم يكن يؤمن بالثورة قبل ذلك غير موقفه منها. بعد انتهاء لقاء رأس الطرفة اتجه المجاهدون بما فيهم محدثنا صوب الجرف لأن معلومات وصلت مفادها أن فرنسا قد جندت قوات ضخمة لتطويق الجبل الأبيض بكامله بعد علمها بأن القيادة كلها متواجدة هناك ولكن دون التمكن من تحديد المكان بدقة لأن المجاهدين كانوا ينتقلون بين أم الكماكم، الجرف، الجديدة فأرادت فرنسا حصار المنطقة كلها.

بعد لقاء وادي هلال تسربت الأخبار بأن المجاهدين كانوا بالقرب من الجرف وأن القيادة أيضا هناك حينها تأكدت فرنسا بأن القيادة موجودة في الجرف ولذلك قررت تغيير وجهة القوات الضخمة التي كان من المفروض أن تطوق الجبل الأبيض لتسير نحو الجرف وكانت في حالة استعداد قصوى حيث قدمت من الصحراء، من الغرب، الشرق وحتى من تونس.

قضى لزهاري عاشور وبقية المجاهدين ليلة في الجرف، وفي صباح اليوم الثاني حلقت طائرة استكشافية على ارتفاع قليل لاستطلاع ما يدور في الوادي، وبعد ساعة أو ساعة ونصف انصرفت الطائرة ففهم المجاهدون بأن العساكر قادمون.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

ورغم أن الطائرة كانت في متناول أسلحة المجاهدين إلا أن القيادة أعطت الأوامر بعد إطلاق النار صوبها. كانت المجموعة التي يوجد بها لزهاري تضم حوالي 50 مجاهدا بقيادة محمد بن عجرود لأن تشكيلة الأفواج لم تكن محددة آنذاك وقد طلب منه مسؤول ناحية تبسة بشير ورتاني المدعو سيدي حني أن يخرج بفوج من 28 جنديا نحو أم خالد، وطلب من صالح بوصفصاف الذي استشهد في ما بعد أن يخرج بمجموعة من الجنود إلى مكان معين. وكان هناك مركز رأس العش الواقع على بعد 30 كلم شرق الجرف فيه العساكر ويتفرع منه طريق نحو الجرف فطلبوا من المجموعة التي يوجد ضمنها لزهاري أن تتجه إلى ذلك الطريق وتضع الحواجز به لتأخير عساكر العدو ساعة أو ساعتين مما يسمح للمجاهدين من المغادرة.

وبالفعل توجهوا إلى الدرمون بالقرب من رأس العش ثم اتصلوا بالمواطنين لمساعدتهم على تنفيذ المهمة حيث خربوا الطريق، بعدها عاد لزهاري عاشور ورفاقه باتجاه "البُلية" وهي مكان بالشرفات المطلة على الجرف يقع على طريق بئر العاتر نحو الجرف.

ونظرا للمسافة الطويلة التي قطعوها ذهابا وإيابا مشيا على الأقدام وهم ينتعلون الأحذية من نوع Espadrilles فإن هذه الأخيرة تمزقت وأدمت الصخور أقدامهم فاضطروا إلى وسائل تقليدية حيث لف البعض أقدامهم في شرائح اقتطعوها من برانسهم واستعمال الحلفاء وغيرها.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

توجه المجاهدون ومعهم لزهاري نحو مكان يدعى فم السد الذي يلتقي فيه الطريقان الآتيان من بئر العاتر وثليجان وأخذوا أماكنهم في انتظار العدو، عند طلوع النهار قصدت المجموعة بيت التاجر عبد الله بوهدلول لتناول الطعام فأعلمهم بأن لزهر شريط موجود في المنطقة ويطلب منهم الذهاب إلى مكان محدد لانتظار العساكر. وتدين هذه المجموعة من المجاهدين بنجاتها إلى اشتباك فارسي محمد بن عجرود بفصيلته مع قوات العدو القادمة من الشريعة باتجاه الجرف. ولذلك تريث العساكر ولم يكملوا الطريق حتى وصلت قوات كبيرة من بئر العاتر، تبسة والشريعة وحشد هذه الأخيرة في منطقة فم السد والمجاهدون يراقبون ذلك.

بعد العصر زحفت قوات العدو باتجاه هدفها دون تغطية سلاح الطيران لإحداث المفاجأة. عندما توسط جيش العدو لزهر شريط وجنوده الـ 4 ومجموعة الـ 24 التي تضم المجاهد لزهاري عاشور فتح شريط النار وقتل الكثير من العساكر لأن القوات الزاحفة تفوق الـ 2.000 عسكري، عند وقوع الخسائر اتجه العدو صوب المكان المتواجد به لزهاري والآخرون فأطلقوا عليهم النار وأوقعوا فيهم خسائر هامة في الأرواح تجاوزت الـ 100 قتيل إجمالا.

وكان هؤلاء المجاهدين قد تلقوا أمرا بالتوجه إلى الجرف في الصباح، ونفذوا ذلك ولدى وصولهم سألهم من كان في الجرف وهم على أهبة الاستعداد عن مكان تواجد العدو.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

بدأت معركة الجرف بقصف مدفعي وبالطائرات فترة من الزمن، وفي حدود الواحدة زوالا شرعت قوات العدو في التقدم نحو قلعة الجرف حيث تمركز المجاهدون في الكهوف الحصينة الموجودة على ضفتي وادي هلال الشرقية والغربية.

وعندما تقدم عساكر العدو في محاولة للوصول إلى مواقع المجاهدين تصدت كل مجموعة للعساكر المقابلين لها أي أصحاب الضفة الشرقية يضربون عساكر الجهة الغربية، ومجاهدو الضفة الغربية يسددون نيران أسلحتهم نحو عساكر الجهة الشرقية، وهكذا إلى أن حل المغرب معلنا وقف القتال نظرا لحلول الظلام.

وفي هذه الفترة بالذات تم تزويد المجاهدين ومنهم لزهاري عاشور ببعض الخراطيش وقليل من المؤونة المتمثلة في "الغرس" و"السويكة". وسارت المعركة في اليوم الثاني على نفس المنوال أي القصف بالطائرات والمدفعية بعيدة المدى إلى غاية منتصف النهار وفي الظهيرة يبدأ العساكر بالزحف. وفي اليوم الثالث خيم هدوء مريب حيث غير العدو خطته، وعلى الرغم من صعوبة المسلك فقد استطاعوا إنزال ثلاث دبابات إلى الوادي مما أدى إلى صعوبة الموقف بالنسبة للمجاهدين لأنهم لا يملكون الأسلحة المضادة للدبابات. هذا الوضع الجديد أحدث خسائر في صفوف المجاهدين إذ استشهد سبعة منهم دفعة واحدة.

سلوا جبل الجرف عن جيشنا ... يخبركم عن قوى جأشنا
ويعلمكم بمدى بطشنا ... بجيش الزعانفة الآثمين*
معركة الجرف غنيت عليها بلا عرف ... ذهب الكرف راهم فازوا لحرار**

في اليوم الثالث والأخير من المعركة عقد شيحاني اجتماعا ضيقا لقادته تمخض عنه قرار الخروج الذي أشرف عليه قائد منطقة تبسة بشير ورتاني المدعو سيدي حني الذي كان يحث المجاهدين على الخروج. ونُفذ الأمر وخرج المجاهدون بهدوء وهم يسيرون ببطء إلى أن صاروا على مقربة من عساكر العدو حوالي 5 أو 10 أمتار فصاح الجميع الله أكبر، الجهاد في سبيل الله مما أحدث مفاجأة وسط جنود العدو وسقط الكثير منهم برصاص المجاهدين.

بعد خروج لزهاري عاشور من أرض المعركة مع مجموعة من المجاهدين لا تتجاوز الـ 20 رجلا لحق بهم عجول عجول وأمرهم بالتوجه إلى مسحالة ومنهم الزين بوعلي، بابانا ساعي، امحمد بعلوج وغيرهم. وفي مسحالة اشتبكوا من جديد مع عساكر العدو، ثم توجهت المجموعة إلى الجديدة على الحدود بين خنشلة وتبسة. وهناك علم لزهاري عاشور ومن معه بأن بشير شيحاني ترك مع مجموعته في الكهف بالجرف.

بعد ذلك بثلاثة أيام التحق شيحاني بالمجموعة التي يوجد ضمنها لزهاري عاشور وقد فرح الجنود كثيرا لذلك لأنهم كانوا يجهلون ما دبر في الخفاء للقائد شيحاني الذي أعدم بتهمة مشينة لا يعلم إلا الله مدى صحتها من عدمه.